# بلاد النوبة

عبد المنعم أبو بكر

الكتاب: بلاد النوبة

الكاتب: د. عبد المنعم أبو بكر

الطبعة: ٢٠١٧




الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

**هاتف:** ٣٥٨٢٥٢٩٣ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٦ ـ ٣٥٨٦٧٥٧٥

**فاكس:** ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com



دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أبو بكر ، عبد المنعم

بلاد النوبة / د. عبد المنعم أبو بكر

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: ٧- ٤٠٢- ٤٤٦- ٩٧٧-٩٧٨

.. ص،.. سم.

أ – العنوان رقم الإيداع: ١٠٧١٧ / ٢٠١٧

# بلاد النوبة





## مقدمة

للقديم في أذهان الناس سحر عجيب، وكلما بعدت الشقة وطال الزمن، أحيط القديم بهالة من التقديس، وذكر الناس أمجاده وأغفلوا أهواله، ورسموا صورة لأجياله تغلب عليها الحكمة والاتزان، وتشع منها الطيبة والاعتدال في كل شيء ومن منا لا يتفاخر بأمسه يود أن يعود منه كل شيء قبل أن يهتم بما سيأتي به الغد، ومن منا لا يفخر بأجداده ويعتز بأقوالهم يجعل منها حكماً يترنم بمغزاها ومعانيها؟!

وللشرق القديم بعامة، ولمصر القديمة بخاصة، سحر أيما سحر، فهو موطن الإنسان الأول، والمسرح الذي تطورت عليه حضارته، وفي مصر استطاع الإنسان أن يقدم للبشرية حضارة زاهية أرسى قواعدها على أسس قوية، فقد عرف المصري القديم كيف يشاهد ويدرس ويحقق، ولم يضيع الفرصة فاستغل مشاهداته ودراساته وتحقيقاته في القفز بحضارته إلى الأمام، وليس من شك في أن ما حققته المواهب المصرية والعقل المصري في كل مظهر من مظاهر الحضارة البشرية ليعتبر المثل الأعلى لكل نشاط بشري في أي بقعة من بقاع العالم القديم.

وإذا كنا اليوم نستطيع أن نتحدث بإسهاب عن كل مظهر من مظاهر الحضارة المصرية، ونتتبع بدفة تطورات العلوم والفنون والآداب عند المصريين

القدماء، فلم تكن هذه حالنا منذ قرن ونصف. فالدراسات المصرية القديمة، بل في استطاعتنا القول إن الدراسات القديمة بأسرها، سواء منها ما اتصل بالعراق القديم أو بلاد الأناضول أو سوريا وفينيقيا، بل ما اتصل ببلاد الإغريق نفسها، كل هذه الدراسات لا ترجع في نشأتها وتقدمها إلا إلى ما يقرب من قرنين، أما العصور التي سبقت هذه الفترة فكانت لا تعرف من أمر هذ الحضارات إلا خرافات وأساطير ترسبت على مر العصور في أذهان الناس، ثم بعض الأخبار التي وردت في كتب نفر قليل من الرحالة الإغريق الذين خرجوا من بلادهم منذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وجابوا هذه الأقطار وتفقدوا معالمها واستمعوا إلى ما كان يردده بعض الكهان فيها عما كان يجري في بلادهم في الأزمنة القديمة، أقصد بهؤلاء الكتاب الإغريق والرومان أمثال هيكاتيوس الملطي وهيرودوت الملقب بأبي التاريخ وسترابون وديودور الصقلي وبلوتارك.

وكلما مرت العصور وتعاقبت الأجيال نجد أن الماضي السحيق بما يحويه من حضارات مزدهرة ينسى ويختفي لتحل محله أوهام تقوم على الخرافة ونسج الخيال، وبقي الحال هكذا حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر، حين كشف معول الحفار اللثام عن آثار كل من مدينتي: بومي، وهيركو لانيوم في إيطاليا، وكان هذا الكشف بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت في نفوس الناس في العالم المتحضر جذوة حب الاستطلاع والتعرف على حضارة الأجداد في كل مكان، وسيطرت هذه الفكرة على عقول الناس إلى درجة أنه حدث نوع من التسابق الجنوني بين الأمم الأوروبية، يهدف إلى جمع التحف القديمة وملء المتاحف بها. ونال مصر وآثارها من هذا التسابق الشيء الكثير. على أن فتح باب الدراسة والتنقيب في مصر لم يكن خيراً كله، ولعل خيره في بادئ الأمر كان أقل بكثير من شره، لأن علم الآثار في أوائل القرن التاسع عشر أخذ يرتمي في

أحضان الدخلاء بعد أن اجتذب نفراً من المغامرين الذين اتخذوا من البحث عن الآثار مهنة للكسب والإثراء، ولكن ما لبث أن قام نفر من العلماء الممتازين ينادون باتباع طرق علمية في البحث والتنقيب، وأنه لم يعد من سبل للتردد في تحديد المكان الذي يكشف فيه عن الأثر وأن يعمل الباحث على المحافظة على كل ما يعثر عليه من أشياء في مكان تنقيبه دون تفرقة بين ما هو نفيس براق وبين ما هو عادي.

واستقامت بعد ذلك الأبحاث العلمية الدقيقة وتهافتت البعثات من كل أمة على مصر ونقبت وعملت وانتشرت في كل مكان، وكانت النتيجة أن صار الآن في استطاعتنا أن نتتبع الأحداث التاريخية منذ أن استقر المصري الأول على شاطئ النيل ونسير معه خطوة خطوة في مدارج التاريخ حتى آخر العصور، بل ونستطيع أيضاً أن نتعرف على كل مظهر من مظاهر حضارته اليانعة المزدهرة.

حدث هذا في مصر، ولكن بلاد النوبة بقيت مجهولة يخيم الظلام على حضارتها حتى القرن العشرين، وليس من شك أن علم الآثار سيظل مدينا لمشروع إنشاء خزان أسوان وتعليته في المرتين المتتاليتين، بجميل لا ينسى، إذ لولا تنفيذ هذا المشروع الكبير لما كانت هناك فرصة للكشف عن الآثار الكثيرة التي احتوتها أرض هذه المنطقة، ومنذ أن فكرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة في إنشاء السد العالي، وهو المشروع الضخم الذي سيزيد من رفاهية البلاد ويفسح المجال أمام الشعب المصري ليحيي حياة كريمة يحقق فيها كل فرد أهدافه وأمانيه في الكسب الشريف والاطمئنان على مستقبله ومستقبل أسرته – اشتد الاهتمام بالتماس الوسائل الكفيلة بإنقاذ آثار النوبة والمحافظة عليها.

**وسوف أتحدث في الصفحات التالية عن بلاد النوبة المصرية، وعن تاريخها القديم، وحضارتها التي استطاع الإنسان هناك أن يصل إليها على مر العصور، ومن ثم أصف آثارها والمشروع الكبير الذي ستشترك فيه جهود العالم أجمع والذي يهدف إلى إنقاذ هذه الآثار على أساس أنها إنتاج بشري لا يعني أهل المنطقة فحسب، بل يجب على جميع الشعوب المتحضرة أن ترى فيه إرثاً بشرياً عليها أن تتكاتف للإبقاء عليه.**

# المدلول الجغرافي لبلاد النوبة

اعتدنا أن نطلق الواقعة إلى الجنوب من أسوان اسم بلاد النوبة، كما يعتقد الكثيرون أن النوبيين يسكنون هذه المنطقة حتى وادي حلفا، الواقع أن مناطق النوبيين تمتد من أسوان في الشمال حتى مدينة "الدية" في الجنوب، وهي تقع إلى الغرب من مروى وإلى الجنوب من دنقلة.

ويتميز هذا الإقليم بأنه جزء من الصحراء العظمى التي تمتد من الشرق إلى الغرب في الجزء الشمالي من إفريقيا، ويقع إقليم النوبة عند خط عرض ٣٢ شمالاً، وإذا كان النيل العظيم يخترقه، إلا أن الأرض الصالحة للزراعة لا تتعدى شريطاً ضيقاً على شاطئ النهر، ومن أجل ذلك كان النيل ولا يزال هو كل شيء بالنسبة لسكان هذه المنطقة، فهو وسيلتهم الرئيسية للانتقال من مكان إلى آخر، كما أن الزراعة القليلة التي يمارسها الناس هناك تعتمد كل الاعتماد على مياهه، والأسماك التي تُصاد منه تعتبر الغذاء الرئيسي لهم.

وتقسم بلاد النوبة إلى قسمين:

الشمالي: وهو جزء من الوطن المصري ويمتد من شمال وادي حلفا إلى أسوان، ويعرف بالنوبة السفلى.

والقسم الجنوبي: ويمتد من وادي حلفا إلى بلدة "الدية" ويعرف بالنوبة العليا. والنوبييون الحاليون نقسمهم عادة إلى المجموعات الآتية:

أولاً: "الكنوز" ويقطنون المنطقة الممتدة من أسوان في الشمال إلى بلدة المضيق التي تقع إلي الشمال من وادي السبوع، وينقسم الكنوز إلى جماعات صغيرة كثيرة العدد، وقد نزح بعضهم شمالاً حتى إدفو واستقروا في القرى المختلفة.

وكلمة الكنوز ترجع في الأصل إلى "كنز الدولة" الذي يقول عنه المقريزي في كتابه: "البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب" "القاهرة ١٩١٦ ص ٥٠": إن الإمارة في هذه المنطقة منحت في عصر الفاطميين لأمير ينتمي إلى قريش اسمه: "أبو المكارم هبة الله" وحدث أنه استطاع أن يقبض على أحد الخارجين على الحاكم بأمر الله، فأكرمه الحاكم إكراماً عظيماً ولقبه "كنز الدولة" وأطلق اسم الكنوز على أتباعه ومن ثم على سكان هذا الإقليم حتى وقتنا هذا.

ثانياً: "العليقات" ويقطنون المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بلدة المضيق وتمتد إلى "كورسكو"، وهم عرب هاجروا من الحجاز إلى مصر ثم استقروا في بلاد النوبة ابتداء من القرن الثامن عشر. وقد حافظوا حتى يومنا هذا على لغتهم العربية.

ثالثاً: "الفديجة" ويقطنون المنطقة من "كورسكو" في الشمال إلى وادي حلفا في الجنوب.

رابعاً: "السكوت" ويقطنون منطقة الجندل الثاني وتنتهي أوطانهم عند وادي حلفا في الشمال.

خامساً: "المحسي" وتقع أوطانهم في منطقة الجندل الثالث.

ومن المعروف أن إقليمي "السكوت" و"المحسي" محدودا الموارد بوجه عام، ولذلك كثيراً ما يحدث أن يتكاثر عدد السكان ويضطرون إلى الهجرة في جماعات كثيرة، ويتجه "المحس" عادة في هجرتهم إلى الشمال، أي إلى مصر، ولقد حدث في زمن الحركة المهدية أن هاجرت مجموعات كبيرة من "المحس" و"السكوت" إلى مصر هرباً من التعسف والاستبداد، واستقرت هذه المجموعات في المنطقة بين "وادي حلفا" و"كورسكو" واتخذوا لأنفسهم لقباً جديداً وهو "الفديجة"، ومعناه في لغتهم: "إننا سنهلك"، أي أنهم هاربون من هلاك محقق، ولذلك نعتقد أن اسم "الفديجة" لا يرجع إلى أبعد من عصر الحركة المهدية في السودان.

سادساً: "الدناقلة" ويقطنون المناطق الواقعة إلي الجنوب من الجندل الثالث، والتي تمتد فيها بين "الدبة" و"أبي فاطمة"، وهي منطقة تمتاز بخصوبتها واتساع الوادي فيها وخلو النيل من العوائق التي تعوق الملاحة.

واللغة النوبية هي إحدى اللغات الحامية، تأثرت على مر العصور بمؤثرات لغوية خارجية، ولذلك نجد فيها عناصر من الكلمات العربية. وبقيت هذه اللغة عصوراً طويلة ينطق بها الناس ولا يكتبونها، ولعلها لم تكتب إلا ابتداءً من العصر المسيحي في بلاد النوبة، والمخطوطات النوبية التي عثر عليها ترجع إلى العصر الإسلامي، وهي مدونة بالحروف اليونانية.

والنوبيون متعصبون كل التعصب للغتهم، وهم يتحدثون بها حتى الآن، وبعد أن اتخذوا من الإسلام ديناً، وبالرغم من انتشار اللغة العربية في مصر وفي السودان، بل وبالرغم من وجود جماعات عربية وهم "العليقات" متغلغلة في وسطهم.

واللغة النوبية تتقسم إلى لهجتين بينهما تشابه:

اللهجة الأولى: يتحدث بها "المحس" و"السكوت" وطبعاً "الفديجة".

واللهجة الثانية: يتحدث بها "الكنوز" و"الدناقلة".

ولعل مما يثير العجب أن لهجة الكنوز في أقصى الشمال تتشابه تماماً معا لهجة الدناقلة في أقصي الجنوب. وتفسير ذلك أن العلاقات التجارية بين الكنوز الذين يسكنون مصر والدناقلة الذين يسكنون السودان، كانت من أشد العلاقات ارتباطاً، وتم هذا الاتصال عن طريق القوافل التي كانت تخترق البادية تجنباً لطول مجري النيل وكثرة ما فيه من جنادل في ثنيته العظيمة بين كورسكو في الشمال وأبي حمد في الجنوب.

وتسمى لهجة "الكنوز" أيضاً بالمتوكي وهي كلمة تعني باللغة النوبية "الشمالي" أما لهجة "الفديجة" فتعرف "بالمريسي" أي "الجنوبي".

# تاريخ بلاد النوبة

النوبة كاسم يطلق على المناطق التي تمتد إلى الجنوب من أسوان حتى الجندل الرابع، يعتبر حديثاً في استعماله، ولم يعرف إلا في العصور المتأخرة، ولم نعثر عليه مذكوراً في أية وثيقة من الوثائق الفرعونية، بل ولم يذكر في العصر البطلمي.

وأول وثيقة ذكرت كلمة النوبة كانت الفقرة الثانية من الجزء السابع عشر من كتاب "الجغرافيا" لسترابون "عام ٢٥ ق.م".

وتشير إلى أن "المناطق التي تقع على الجانب الغربي للنيل في ليبيا مأهولة بالنوبيين، وهم قبيلة كبيرة تمتد أراضيها من مروي وتصل شمالاً حتى انحناءات النهر، وهم لا يتبعون إثيوبيا بل ينقسمون إلى ممالك عدة، كل مملكة منها مستقله عن الأخرى".

هذا التعبير الجغرافي أطلقه "سترابون" على المنطقة التي تبدأ جنوباً من "مروي" "عند الجندل الرابع" وتنتهي شمالاً عند "أبو حمد".

أما المصريون القدماء فقد أطلقوا أسماء كثيرة على بلاد النوبة، ولعل أقدم هذه الأشياء هو "كينست"، إلا أن الاسم الشائع كان "تاستي" أي "بلاد حاملي الأقواس"، وكان يطلق أيضاً على المنطقة المحيطة بالجندل الأول، أي على الإقليم الأول من أقاليم الصعيد، الذي امتدت حدوده حتى جبال السلسلة إلى الشمال من "كوم أمبو".

وعاشت في منطقة بلاد النوبة السفلى قبائل عدة ذكرها المصريون القدماء وهي:

١ – قبيلة "الواوات" وسكنت المنطقة حول "كورسكو" حالياً.

٢ – قبيلة "الإيرثت" وسكنت المنطقة حول "توماس" حالياً.

٣ – قبيلة "ستاو" وسكنت المنطقة حول "توشكى" حالياً.

٤ – قبيلة "إيام" وسكنت المنطقة بين "ارمنه" و"بوهن" حالياً.

٥ – قبيلة "مدجاو" وهي من القبائل الرحل التي لم تستقر في منطقة بعينها وكانت تجوب مناطق السودان والنوبة السفلى.

وانتمت هذه القبائل كلها إلى الجنس الحامي، الذي انتمى إليه سكان شمال إفريقيا كافة في العصور الأولى.

كانت بلاد النوبة السفلى فيما بين الجندلين الأول والثاني، جزءاً من الوطن المصري منذ أول العصور، ولسنا نشك أن الإنسان الأول قد استوطن النوبة كما استوطن مصر، أي منذ العصر الحجري القديم، إذ وجدت آثاره ممثلة في أسلحته وآلاته الحجرية في مدرجات النيل في بلاد النوبة، وكان هذا العصر يمتاز بأمطار غزيرة جعلت من الهضاب والتلال العالية المجاورة للنيل مناطق غنية بنباتاتها وثروتها الحيوانية، وعاش الإنسان الأول متجولاً يصيد الحيوان ويلتقط الثمار ويعيش في العراء، وترك في كل مكان حل به آلاته الحجرية البدائية إلا أنه لم يعثر حتى الآن على الهياكل العظمية لهذا الإنسان الذي ربما كانت حضارته ترجع في مراحلها الأولى إلى عام مئات السنوات ق.م.

ولكن ما لبث أن تبدل الحال وانتهى العصر المطير وساد شمال إفريقيا عصر جفاف، حول الهضاب والتلال شرق النيل وغربه إلى صحراويات مجدبة، واضطرت الحيوانات إلى أن تهرع إلى مجاري المياه، ومن ورائها الإنسان، وكانت نقطة تحول عظيمة في حياة الإنسان الأول، إذا اضطر إلى الاستقرار حول مجاري المياه وارتبط بالأرض بعد أن تعلم الزراعة ومارسها، وترك حياة التجول والصيد، واستبدل بها حياة مستقرة رتيبة أضفت على حضارته طابعاً خاصاً استمده من بيئته الجديدة.

ولقد أثبتت الدراسات الأثرية أن أهل بلاد النوبة السفلى، الذين كانوا قد استقروا في أوطانهم منذ عصور ترجع إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، على الأقل، عاشوا في مستو حضاري مطابق للمستوى الذي وصل إليه المصري في عصور ما قبل التاريخ، بل كانوا يتبعون نفس الأسلوب الحضاري الذي اتبعه المصريون: فالأواني الفخارية بأنواعها المتعددة المعروفة، وألواح الكحل بأشكالها المختلفة، والآلات الظراتية وأدوات الزينة تطابقت في بلاد النوبة مع ما عثر عليه من العصر نفسه في مصر. كما أن أهل النوبة كانوا ينتمون، كما سبق القول، إلى نفس السلالة التي انتمى إليها المصريون القدماء. وتمتاز هذه السلالة بالقامة المتوسطة النحيلة والرأس المستطيل البارز من الخلف وتمتاز أيضاً بالأنوف والشفاه المعتدلة والشعر المموج. وكان لون شرتهم أسمر يميل إلى الأحمر.

ويبدو أن أهل بلاد النوبة لم يستطيعوا السير في مضمار الحضارة بالسرعة التي سارت بها مصر، وسبب ذلك أن البيئة السخية في الشمال واتصال المصريين بغيرهم من الأمم المتحضرة نتيجة لموقعها الجغرافي الفذ الذي يجعل منها منطقة تتوسط بحرين كبيرين أحدهما يتصل بالمحيط الهندي وبلاد الشرق

عامة، والآخر يمتد إلي بلاد الغرب والمحيط الأطلسي، ثم بعد أن نعمت مصر بعصر ذهبي في ظل الوحدة الكاملة بين الدلتا ومصر العليا، كل هذا جعل الحضارة المصرية تقفز قدماً تلك القفزات الموفقة نحو الكمال، في حين أن البيئة النوبية لم تترك إلا أوطاناً صغيرة لا تتعدى بعض المناطق الضيقة من الأراضي الخصبة الملاصقة لنهر النيل، تكتفها من الشرق والغرب التلال الصخرية ومن ورائها صحراء جدباء وعرة، ليس يها ما يغري سكان الوادي الضيق بالحركة أو الانتقال، كل هذه العوامل الطبيعية جعلت أهل هذه المنطقة يستمرون في مستواهم الحضاري الذي وصلوا إليه في عصور ما قبل التاريخ. ونظراً لأن الناس في هذه المنطقة لم يستطيعوا في يوم من الأيام أن يدونوا أحداثهم أو أن يكونوا أسرات حاكمة، اضطر المؤرخون إلى اتباع طريقة التأريخ حسب المظاهر الحضارية، وقسموا العصور إلى مجموعات متعددة أهمها:

١ –عصر حضارة المجموعة الأولي: من حوالي ٥٠٠٠ ق.م إلى عام ٢٩٠٠ق.م.

٢ –عصر حضارة المجموعة الثانية: من حوالي ٢٩٠٠ ق.م إلى عام ٢٤٠٠ق.م.

٣ –عصر حضارة المجموعة الثالثة: من حوالي ٢٤٠٠ ق.م إلى عام ١٦٠٠ق.م.

٤ –عصر حضارة المصريين القدماء: من حوالي عام ١٦٠٠ق.م إلى عام ٣٠٠ ق.م.

٥ –عصر الحضارة الرومانية المرويتية: من حوالي عام ٣٠٠ ق.م إلى عام ٣٠٠ ميلادية.

٦ –عصر الحضارة البليمية النوبادية: من حوالي عام ٣٠٠م إلى عام ٦٠٠ ميلادية.

لقد سبق القول إن "حضارة المجموعة الأولى" قد تطابقت مظاهرها مع ما كانت تتمتع به مصر من حضارة في عصور فجر التاريخ، أي منذ ٥٠٠٠ ق.م، ومنذ عصر الأسرة الرابعة المصرية، دخلت بلاد النوبة في عصر "حضارة المجموعة الثانية" الذي استمر أكثر من ٥٠٠ عام، لم تستطع بلاد النوبة فيه أن تستمر في المستوي الحضاري السابق، إذ ظهرت فيها عوامل اضمحلال وتدهور واضحة.

وأخذت عناية المصريين القدماء ببلاد النوبة تشتد وتقوى في عصر الأسرة السادسة من التاريخ الفرعوني، ونستدل علي ذلك من نص خلفه أحد عظماء هذا العصر واسمه "أوني" الذي أراد أن يتغلب على الصعوبات التي يلاقيها المصري عند الجندل الأول واستحالة مرور السفن عبر صخوره، فحفر خمس قنوات في هذه الصخور، ثم توجه إلى بلاد النوبة لإحضار بعض منتجاتها، وسجل أن قبائل "الأرثت" و"الواوات" و"المدجاوي" ساعدته في مهمته هذه. وزادت اتصالاته السامية عندما أخذ أمراء جزيرة "الفنتين" يقومون برحلاتهم الاستكشافية في مناطق النوبة، فتجولوا بها وجابوا أرجاءها.

ومنذ عام ٢٤٠٠ ق.م دخلت فترة جديدة تمتاز بأسلوب جديد في الحضارة وهي ما نطلق عليها "عصر حضارة المجموعة الثالثة"، مهد لهذا العصر ما حدث في مصر من تدهور كبير وتفكك في الروابط بين الملك في العاصمة وبين أمراء الأقاليم الذي تمتعوا باستقلال في سياستهم المحلية وأهملوا الحكومة المركزية.

هذا العصر بالذات أعطى الفرصة لبعض العناصر الأجنبية أن تستقر في بلاد النوبة، وهي عناصر تسربت إليها على هيئة هجرات سلمية من موطنها الأصلي في ليبيا. ويمتاز عهد حضارة المجموعة الثالثة بتقدم نسبي ينحصر في إتقان كبير للأدوات التي سبق استعمالها في هذه المنطقة في عصور سابقة، كما أخذ الناس يستعملون أنواعا متعددة من أدوات الزينة، منها أساور من الذهب والعاج والخرز وتمكنت من أن تكون حول الجندل الثالث وإلى الشمال منه نقط ارتكاز أخذت تهدد منه منطقة النوبة السفلى بل تعدتها إلى الحدود الجنوبية لمصر نفسها.

ولم تلبث هذه القبائل أن استقرت في مدينة كبيرة هي "كرمة" تقع إلى الجنوب من الجندل الثالث وجعلوا منها عاصمة لهم.

هؤلاء هم الذين ذكرهم التاريخ تحت اسم قبائل "الكوش" ورأى فيهم ملوك الأسرة الثانية عشرة" حوالي ٢٠٠٠ ق.م" عدواً خطراً، اضطر الواحد منهم بعد الآخر أن يسارع إليهم محاولاً القضاء على قوتهم، وحدثتنا النقوش عن الكفاح المرير الذي قام بين الطرفين، واضطر ملوك مصر أن يقيموا الحصون القوية على طول الطريق بين أسوان والجندل الثاني، وأهمها حصنا "سمنه" و"وقمه" وزودوا هذه الحصون بالحاميات، وحرموا على الزنوج أن يعبروا الجندل الثاني إلى الشمال سواء بطريق البر أو النيل إلا في جماعات قليلة وبقصد التجارة.

ولم يكتف ملوك الأسرة الثانية عشرة بهذا فقط، بل استولوا على العاصمة "كرمه" وجعلوا منها مركزاً تتجمع فيه تجارة الجنوب ويقيم فيه حاكم مصري.

ومنذ عصر الدولة الحديثة "أي منذ منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد" انضمت بلاد النوبة السفلى والعليا حتى الرابع جنوباً إلى مصر، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها، وتأثرت هذه البلاد تماماً بالثقافة المصرية وتعبدت إلى الآلهة المصرية وانتشرت فيها المعابد المصرية التي كانت بمثابة مراكز ثقافية يتعلم فيها الناس الدين والعلم.

وعهد المصريون بإدارة هذه البلاد إلى موظف كبير يلقب "ابن الملك المولى على كوش" وكانت سلطاته كاملة بحيث يشرف على النواحي الإدارية والمالية في هذه المنطقة الممتدة من "نباتا" عند الجندل الرابع جنوباً إلى مدينة الكاب "جنوبي إسنا" شمالاً.

أما شئون الجزية فكان الملك يعين وكيلين لنائب الملك، الأول يتولى جباية الجزية من إقليم الواوات أي بلاد النوبة السفلى والآخر يتولى جبايتها من إقليم الكوش أي بلاد العليا.

استمر الحال هكذا حتى القرن الثامن قبل الميلاد حين ظهرت أسرة قوية من الأمراء النوبيين، انتهزت فرصة القلاقل والنزاع الذي انتشر في مصر منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وكانت البلاد إذ ذاك قد انقسمت إلى مملكتين: إحداهما في الدلتا والأخرى في مصر العليا، انتهزت هذه الأسرة حالة التدهور السياسي في مصر وقبضت بيد من حديد على جميع مناطق بلاد النوبة، ومن ثم أخذت ترنو بأبصارها نحو الشمال وعملوا جاهدين على تحقيق حلمهم في الاستيلاء على عرش الفراعنة، واستطاع "بعنخي" أحد أفراد هذه الأسرة أن يحقق الحلم وكون الأسرة الخامسة والعشرين من التاريخ المصري.

إلا أن دولة أشور الفتية كانت قد امتدت بأطماعها إلى مصر، واستطاع "أشور أخي الدين" بعد محاولات شتي أن يهزم الملك النوبي "طهارقا" ويدخل الدلتا عام ٦٧٠ ق.م.

استقر الأشوريون في الدلتا، وتركوا مصر العليا للفرعون النوبي الذي استطاع بعد فترة من الزمن أن يرجع إلى الدلتا ويقضي على الحماية الأشورية فيها، وما كاد الملك الأشوري الجديد "أشور بني بعل" يجلس على عرش بلاده حتي سارع بإرسال جيش قوي رد الدلتا إلى الحكم الأشوري، ثم سار إلى مصر العليا ووصل إلى طيبة وطرد منها "طهارقا" الذي ولى هارباً إلى عاصمته الجنوبية "نباتا".

مات "طهارقا" وخلفه ابنه "تانوت آمون" الذي استطاع أن بجمع حوله كلمة المصريين في مصر العليا، وزحف شمالاً نحو "منف" واشتبك في معركة دامية عندها انتصر فيها انتصاراً حاسماً ضد الآشوريين، إلا أن الجولة الثانية كانت هزيمة له، وتعقبه الأشوريون ولم يجد بدا من الاحتماء في العاصمة الجنوبية "نباتاً" وبخروجه من مصر انتهى حكم النوبيين لها.

استقر النوبيون في "نباتا" ولم يحاولوا الرجوع إلى مصر، واكتفوا ببسط سلطانهم على مناطق النوبة السفلى، وأخذ التاريخ يتحدث عن دولة نباتا التي استمرت تحكم السودان القديم فترة تزيد على ثلاثة قرون "من ٦٦٣ إلى ٣٠٠ ق.م"، ولم يلبث أن انتقل الحكم إلى مروي حوالي عام ٣٠٠ ق.م، وكان هذا الانتقال أمراً تحتمه الظروف السياسية التي هيمنت على مصر.

وتغلغل البطالمة في بلاد النوبة السفلى، إذ كانوا قد رسموا لأنفسهم سياسة خاصة نحو هذه المنطقة، تتلخص في الاحتفاظ بالمناطق التي تمتد إلى الجنوب من أسوان على مسافة تبلغ ١١٠ كيلو متراً، وهي المنطقة التي أطلقوا عليها اسم "الدوديكاشينوس" وكانت تشمل المدن الهامة الآتية:

دابود – ثافا – كلابشه – جرف حسين – الدكة – كوبان – قورته – المحرقة.

ويذكر التاريخ في هذا العصر ملكا نوبيا هو "أركامون" كانت قد تشبع بالثقافة اليونانية وتوطدت صلاته بالملك "بطليموس الثاني".

ولقد ردد "ديودور الصقلي" قصة طريفة عن الملك "اركامون" ملخصها أنه كانت هناك عادة اتبعها كهنة "آمون" في "نباتا" وذلك عندما كانوا يضيقون ذرعاً بأحد الملوك، ويستشعرون منه عدم خضوعه لمشيئتهم أو خروجاً على إرادتهم، اعتاد الكهنة في مثل هذه الحالات أن يرسلوا إلى ذلك الملك رسولاً منهم يخبره أن إرادة الإله تحتم عليه قتل نفسه، وقد لاقى كثير من الملوك حتفهم بهذه الطريقة معتقدين أنهم يؤدون عملاً دينياً عظيماً يتقربون به إلى الإله.

ويبدو أن الكهنة حاولوا تنفيذ هذه السياسة مع الملك "أركامون"، ولكنه استعمل طريقة أخرى للرد عليهم، فوجه إليهم حملة انتقامية، وقتل منهم فيها عدد كبير.

وهكذا حتمت الظروف السياسية على النوبيين نقل عاصمتهم من "نباتا" إلى "مروي"، وكان هذا الانتقال بدء فترة جديدة أخذت الحضارة المصرية فيها تضمحل وتحل محلها حضارة إفريقية تحمل طابعاً جديداً، يجدر بنا أن نصفه بأنه

طابع أفريقي زنجي، وساعدت الظروف دولة مروي في أن تتطور في طريقها الخاص الذي رسمته لها حضارتها الجديدة ذات الطابع الأفريقي البحث دون أن تعترضها أحداث ذات بال.

وعندما دالت دول البطالمة في مصر وانتقل الحكم منهم إلى الرومان، بدأت سلسلة من الثورات الجامحة يقوم بها أهل الصعيد مطالبين بها إجلاء المستعمر الغاشم، ولقد اضطر الحاكم الروماني "كورنيلوس جاللوس" بعد بضعة شهور من الفتح الروماني وفي عصر الإمبراطور "أغسطس" أن يواجه ثورة جامحة نشبت في طيبة، وساعد النوبيون الثوار وأمدوهم بمعونات مختلفة.

وبعد نجاح الحاكم الروماني في إخماد ثورة الطيبيين زحف جنوباً لمعاقبة النوبيين فيما وراء الجندل الأول ولكنه لم ينجح في مهمته وتركهم متمتعين باستقلالهم على أن يعترفوا بالسيطرة الرومانية اسماً وليس فعلاً.

قام النوبيون بثورة كبيرة حوالي عام ٢٤ ق.م. ضد الرومان، وهاجموا صعيد مصر وتغلبوا على الحامية الرومانية التي كانت تتألف من ثلاث كتائب مساعدة، ونهبوا جزيرة "أنس الوجود" وجزيرة الفنتين ومدينة أسوان.

استعد الرومان استعداداً كبيراً للرد على هذه الثورة وخرج الحاكم بترونيوس على رأس جيش كبير والتقى بالجيش النوبي عند الدكة واستطاع إيقاع الهزيمة به، وتعقب الثوبيين وحاصرهم في قلعة "قصر ابريم" ثم استولى عليها وطارد فلولهم حتى وصل إلى مدينة "نباتا" "العاصمة النوبية القديمة" ودمرها ونهب ما فيها من كنوز.

وبعد عامين أخذ النوبيون بثأرهم وتقدموا بقيادة ملكتهم الشهيرة "كانداكي" وتقابلوا مع "بترونيوس" عند قلعة أبريم، ولكن عدم التعادل بين القوتين اضطر الملكة طلب الصلح، ولكنه كان صلحاً ولكنه كان صلحاً مشرفاً، إذ فاز النوبيون بقرار من الإمبراطور أعفاهم فيه من دفع الجزية للرومان.

حدث هذا عام ٢٠ق.م، واستقر السلم فترة طويلة في هذه المنطقة، وقام الرومان بتشييد المعاقل والحصون التي لاتزال آثارها باقية حتى الآن في الدكة وكلابشه وقرطاسة ودابود.

في أواخر القرن الأول بعد الميلاد ظهرت قوة فتية لشعب جديد هو شعب "البليمي" الذي أخذ على عاتقه مناوأة النفوذ الروماني ليس في بلاد النوبة فحسب، بل أخذ يهاجم بقسوة المدن الجنوبية في مصر العليا ووصلوا إلى قفط والمنشاه واستولوا عليهما.

ونحن لا نعرف على وجه التحقيق الجنس الذي انتهى إليه "البليمي"، فالبعض يؤكدون أنهم من الجنس الحامي الذي انتمت إليه قبائل "البدجه" التي تنقسم سلالتها حالياً إلى جماعات مختلفة، فمنهم البشاريون في الشمال "أم علي" الذين يعيشون في المناطق بين البحر الأحمر وأسوان، ومنهم بشاريو الجنوب "أم ناجي" الذين يقطنون المناطق الممتدة حول العطبرة، ومنهم كذلك قبيلة "الأمرار" التي يعيش أفرادها في بورسودان والمرتفعات الواقعة بالقرب منها، ومنهم "الهدندوه" الذين يقطنون دلتا الجاش، وأخيراً ينتمي إليهم كذلك "بنو عامر" الذين يقطنون منطقة طوكر وحوض بركة في السودان.

ويرى البعض الآخر أن "البليمي" ينتمون إلى الجنس الزنجي وأنهم كانوا يقطنون منطقة النيل الأبيض والأزرق.

لقد أقض "البليمي" مضاجع الرومان الذين اضطروا في عصر الإمبراطور "ديوقلديانوس" "٢٨٤ – ٣٠٥ ميلادية" أن يسحبوا جميع حامياتهم من بلاد النوبة السفلى ومن أسوان نفسها، إذ تبين لهم أن شعب "البليمي" أصبح سيداً لبلاد النوبة وأن هجماته على مدن مصر الجنوبية لا يقف أمامها الجند الرومانيون. إلا أن "ديوقلويانوس" لعب لعبته المشهورة وهي أن طلب من "النوباديين" ألد أعداء "البليمي" أن يكونوا حماة هذه المنطقة وأن يحافظوا على سلامتها.

و"النوباديون" قبيلة ليبية كانت تجوب الصحراء الغربية وامتدت مناطقها من دارفور وكردفان جنوباً إلى الواحة الخارجية شمالاً، ومنهم انحدرت بقبيلة "البقارة" حالياً. وأكرم الأمبراطور أفراد هذه القبيلة بأن اقتطعهم أراضي واسعة في أسوان وأغدق عليهم إعانات سخية مقابل خدماتهم.

حدث في أوائل القرن الخامس الميلادي يأن تحالفت قبائل "النوباديين" مع قبائل "البليمي" وهاجموا الأراضي المصرية وهزموا الحاميات الرومانية وأسروا كثيراً من جنودها، ولكن الإمبراطورية الرومانية اضطرت أن تدافع عن نفسها بتجريد حملة قوية استطاعت أن تهزم القبيلتين وعقدت مع البليمي معاهدة أهم شروطها المحافظة على السلام لمدة مائة عام وإطلاق سراح الأسرى الرومان ودفع تعويضات ضخمة لهم.

رضي البيلمي بهذه الشروط ولكنهم طالبوا بالاحتفاظ بالتعبد إلى آلهتهم: أوزوريس وإيزيس ومين في معبد جزيرة فيلا "أنس الوجود"، بل طلبوا السماح لهم باستعمار تمثال معبودتهم الكبرى "إيزيس" من ذلك المعبد ليطوفوا به في مناطقهم مذكرين عشيرتهم بالاتفاق المبرم بينهم وبين الرومان.

حافظ البليمي على عهدهم طوال الأعوام المائة، ولكنهم قاموا بثورة جامحة بعد انقضائها، وشعر الإمبراطور "جوستنيان" الأول "٥٥٠ ميلادية" أن الخطر كله يكمن في تجمع "البليمي" و"النوباديين" حول معبوداتهم في معبد "فيلا" فأمر بإغلاقه ونقل تماثيل الآلهة إلى القسطنطينية وسجن الكهنة، ونجحت هذه السياسة وخيم السلام على المنطقة.

دخلت المسيحية بلاد النوبة في منتصف القرن السادس الميلادي، وحدث في عام ٥٧٧م أن افتتح رئيس مطارنة أسوان معبد إيزيس بعد تحويله إلى كنيسة، وسرعان ما انتشرت الديانة في المناطق الجنوبية، وتحولت معظم المعابد الفرعونية إلى كنائس، وظهرت دولة مسيحية نوبية في مديرية دنقلة، كان لملوكها سلطان قوي، وسيطروا على معظم مناطق النوبة السفلى، بل واستطاع أحد ملوكها واسمه "مركوريوس" أن يشيد كنيسة كبيرة في مدينة "تافا" على بعد ٤٢ كيلومتر إلى الجنوب في أسوان.

وفي القرن السابع كان على مملكة دنقلة المسيحية أن تواجه قوات العرب التي أخذت تتجه إلى بلاد النوبة بعد استقرارها في مصر، وانتهى الأمر بأن عقدت مملكة دنقلة معاهدة مع العرب في مصر في عصر الوالي "عبد الله بن سعد ابن أبي السرح" عام ٦٥١م، وأطلق على ملك هذه البلاد اسم "عظيم النوبة" ونص في هذه المعاهدة على أن تشمل البلاد الممتدة من حدود مصر

شمالاً إلى حدود "علوة" عند الجندل السادس جنوباً، وعلى أن تدفع مملكة النوبة الجزية إلى مصر وأن تتعهد بحماية المسلمين المقيمين فيها.

أخذ الإسلام ينتشر رويداً رويداً من مصر نحو الجنوب، وبدأ المسيحيون يلتجئون إلي بلاد الحبشة، خاصة بعد أن قام أحد أفراد أسرة صلاح الدين بحملة حوالي عام ١١٧٣م توغل بها في بلاد النوبة واستولى على كثير من الأراضي هناك.

وأصبحت بلاد النوبة السفلى منذ القرن الخامس عشر جزءاً من مصر واعتنق أهلها جميعاً الإسلام، وفي أوائل القرن التاسع عشر تحصن بعض المماليك في كثير من مناطق النوبة، إلا أن إبراهيم باشا أجلاهم عنها.

# آثار النوبة

استعرضت على الصفحات السابقة الأحداث التاريخية الهامة التي مرت على بلاد النوبة بعامة، والسفلى منها بخاصة، وهي أحداث بدأت كما قلت منذ أن استقر الإنسان الأول حول مجاري المياه، وبعد أن ساد عصر الجفاف وحول مناطق شاسعة إلى صحاري جافة مجدبة، ولقد استمرت هذه الأحداث وتتبعناها على مر العصور حتى وصلنا بها إلى العصر الحديث، ولست أشك في أن القاريء يتفق معي على أن منطقة بلاد النوبة السفلى كانت بمثابة همزة الوصل بين المنطقتين على قدر كبير من الأهمية، هما مصر في الشمال والسودان في الجنوب، فلا نعجب إذن إذا كانت الآثار التي وصلتنا من هذه العصور الطويلة، كثيرة العدد وعظيمة الأهمية، وفي واقع الأمر نجد ببلاد النوبة السفلى مجموعة فريدة من المعابد قل أن نجد لها مثيلاً في مصر نفسها، إذ أن معظمها كان – كما سبق الحديث – قد تحولت إلى كنائس مسيحية، وكسيت جدرانها بطبقة سميكة من الجص رسم الناس فوقها صور القديسين.

ويجب ألا ننسي التأثير الكبير الذي كان لظروف الطبيعة على الإبقاء على هذه المعابد في حالة جيدة، خاصة وأن الناس في هذه المنطقة لم يحاولوا مرة أن يسكنوا هذه المعابد أو أن يستعملوا حجارتها في شئونهم الخاصة، كما حدث في معابد مصر من نفس العصر.

يوجد في بلاد النوبة السفلى ستة عشر معبداً وخمسة هياكل، قد أكثرها في باطن التلال الصخرية الممتدة إلى الشرق والغرب من مجرد النيل، وسأحاول على الصفحات التالية أن أعطي صورة موجزة لكل معبد من هذه المعابد:

١ - معبد "فيلة"

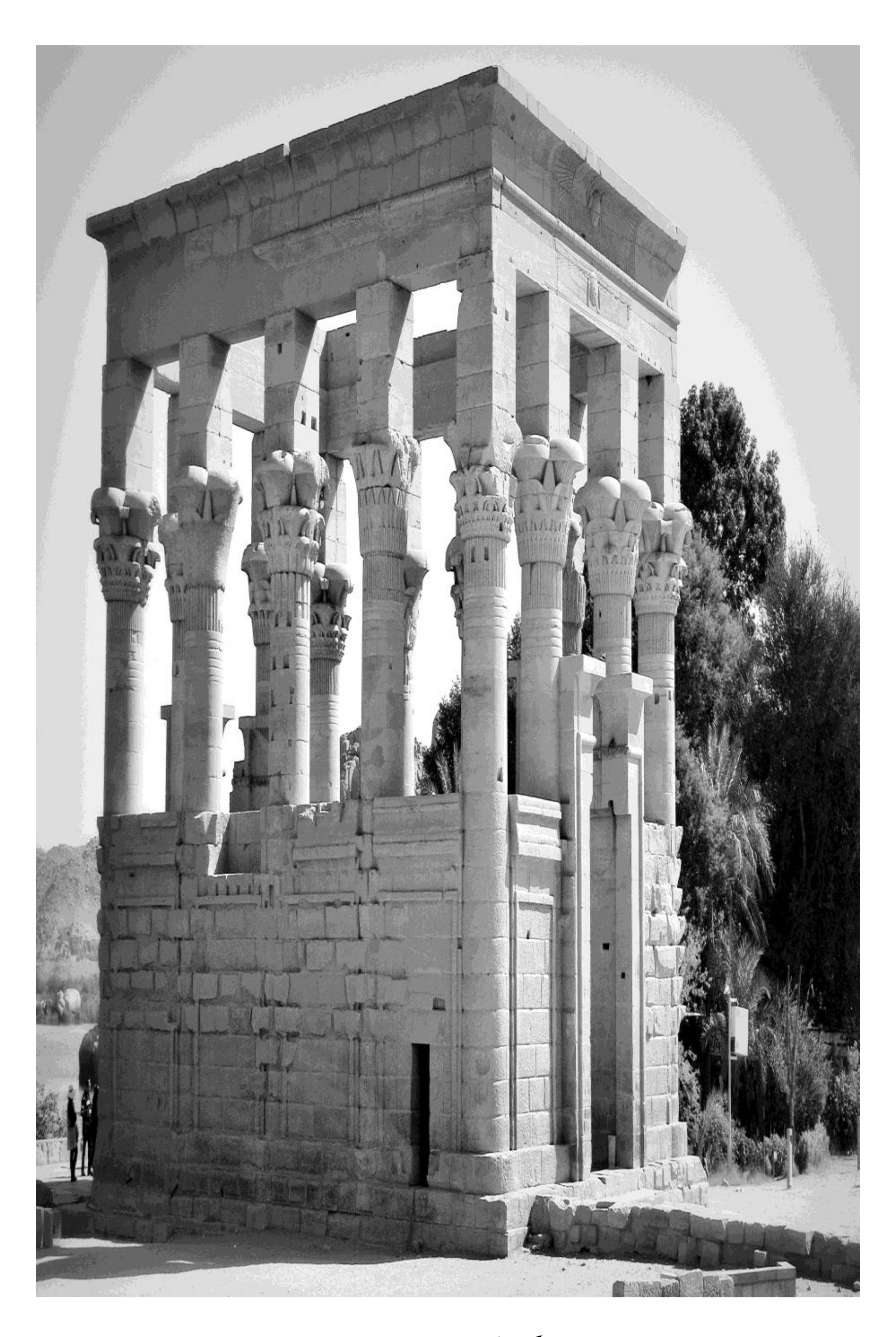
هذا الاسم يطلق على الجزيرة الصغيرة التي تتوسط مجرى النيل، وتقع على مسافة أربع كيلومترات إلى الجنوب من سد أسوان، وهي عبارة عن جزيرة صخرية من الجرانيت الوردي كسيت على ارتفاعات مختلفة بطمي النيل. وكلمة "فيلة" هي تحريف للاسم المصري القديم "بيلاك" ويعني "النهاية" لأنها في واقع الأمر تقع عند أقصى الجنوب من مصر، وعند حدود بلاد النوبة. ويطلق أيضاً على هذه الجزيرة اسم "أنس الوجود".

ويتحدث أهل المنطقة بقصة طريفة بطلها شاب اسمه "أنس الوجود" كان قد أحب فتاة اسمها زهرة الورد، ولما سمع والدها بهذا الحب، هاله الأمر وبعث بابنته إلى معبد إيزيس القائم في هذه الجزيرة وسجنها هناك ليبعدها عن حبيبها الذي هام على وجهه يبحث عنها في كل مكان، وسار على ضفاف النيل يسأل الناس عن حبيبته، وكان أثناء طوافه يعطف على ما يلقاه من حيوانات الصحراء، مما جعلها تأنس إليه وتسعى لمساعدته، ووصل في طوافه إلى جزيرة "أنس الوجود" واستعان بتمساح كبير ليعبر النيل من الشاطئ إلى الجزيرة والتقى بحبيبته، واستطاع إقناع أبيها بأمر حبه، فرضي أن يزوجها له.

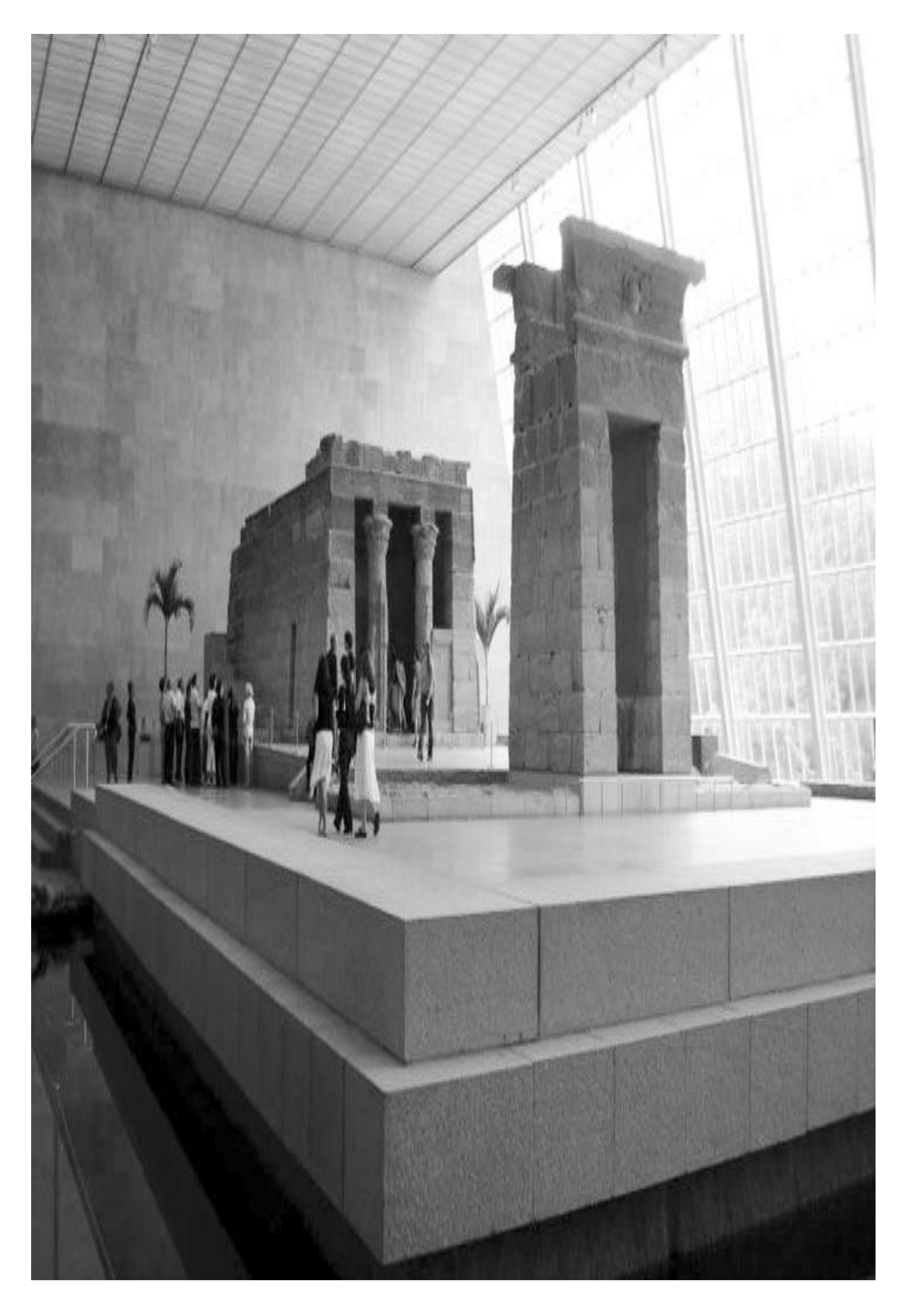
كانت جزيرة "فيلة" قبل عام ١٩٠٣، أي قبل بناء خزان أسوان، من أجمل جزر هذه المنطقة فقد كانت تكثر فيها الزراعات وتزدان بأعداد كبيرة من أشجار النخيل، إلا أنها الآن تبقى مغمورة أكثر شهور السنة في مياه الخزان.



**معابد فيلة في الفترة التي تنحسر بها المياه عنها**



**كشك تراجان**



**منظر من معابد جزيرة فيلة وقد بدأت تغمره المياه**

أقدم الأبنية في هذه الجزيرة مصورة شيدها الملك النوبي "طهارقا" "٧٠٠ق.م" ثم أقام الملك "نقتانبو الأول" "٣٧٠ ق.م" مقصورة أخرى صغيرة إلى القرب منها وخصصها لعبادة الإلهة "إيزيس" ومن الغريب أن تظهر فجأة عبادة لهذه الإلهة في هذه المنطقة التي كانت تقدس الإله "خنوم" معبود جزيرة "إليفاتبين" التي تعرف حالياً باسم "جزيرة أسوان" والذي اعتبر سيداً لهذه المنطقة منذ أول العصور.

وتفسيرنا لهذا أن الديانة المصرية في العصور المتأخرة من التاريخ المصري أخذت تنوه بصفات كثيرة للإله "أوزيريس" جاعلة منه ربا للإنبات والخير العميم بل وللفيضان أيضاً، وقيل أيضاً بأن أحد أجزاء جسم "أوزيريس" دفن في جزيرة صغيرة على مقربة من "فيلة" وهي جزيرة "بيجة"، ومن ثم أخذت عقيدة "إيزيس" زوجة "أوزيريس" ومخلصته من كل ما حاق به من أذى، ترتبط بجزيرة "فيلة" وكانت تقوم بزيارة زوجها في جزيرته في احتفال مهيب أكثر من مرة في العام.

وفي الواقع أخذت ديانة "إيزيس" تلعب دوراً كبيراً في العالم القديم منذ عصر البطالمة على أساس أنها الإلهة الشافية من الأمراض ذات القدرة العجيبة في شئون السحر، وكلنا يعلم مدى انتشار الإيمان بالسحر قديماً، في أوروبا فقد وصلت في انتشارها شمالاً إلى الجزر البريطانية.

ويرجع المعبد الرئيسي في الجزيرة إلى عصر البطالمة – القرن الثالث قبل الميلاد – وتعاقب ملوك البطالمة ومن بعدهم الأباطرة الرومان وكل منهم يزيد من أجزاء هذا المعبد أو يضيف عليه صرحاً أو جزءاً حتى اكتظت الجزيرة بمعابدها

الكبيرة التي تزدان بأجمل النقوش والمناظر، والتي نعتبرها المعين الذي لا ينضب للدراسات اللغوية والدينية للعصرين البطلمي والروماني.

ولعل أهم العصور التي ازدهرت فيها عبادة "إيزيس" كانت عصور استقرار كل من شعبي "البليمي" و"النوباديين" في هذه المنطقة، واستمرت هذه العبادة تلعب دورها الكبير حتى أغلق الإمبراطور "جوستنيان الأول" المعبد عام ٥٥٠م ونقل تماثيله إلى القسطنطينية وسجن كهنته.

٢ - معبد دابود

يقع معبد دابود الصغير على مسافة ٢٠ كيلو متر إلى الجنوب من سد أسوان وهي مسافة يقطعها المسافر في رحلته النيلية ماراً بعدة قرى صغيرة تتناثر هنا وهناك على شاطئ النيل، بنيت منازلها على مستويات مختلفة فوق سفح التلال المحاذية للنيل، ويلاحظ أن هذه القرى تبدو من بعيد ساكنة هادئة كما لو كانت مهجورة لا يسكنها إنسان، وبجانب كل قرية نجد رقعة صغيرة من الأرض تحوي بعض الزراعات البسيطة بجوار حافة النهر.

هذه القرى عادة تسكنها الزوجات والأطفال في حين يعمل الأزواج والرجال في الشمال، يكدون ويكدحون ويرسلون بجزء كبير من أرباحهم إلى ذويهم في هذه القرى، وهذا المنظر يتكرر على طول الطريق من الشمال إلى الجنوب، أي من أسوان إلى أدندان على مقربة من وادي حلفا في الجنوب.

أما معبد دابود فقد بناه الملك النوبي "أزخر أمون" أحد ملوك دولة مروي الذي عاش حوالي عام ٣٠٠ ق.م. ولقد شيده على النمط المصري، وزاد فيه

بعد ذلك الملك بطليموس الثالث، ثم زينه بالنقوش المختلفة بعض أباطرة الرومان.

ويتكون المعبد من بوابات ثلاث يليها فناء مفتوح، ثم ردهتان، وينتهي المعبد بقدس الأقداس الذي يحوي "ناووسا" من الجرانيت. قامت مصلحة الآثار بفك حجارة هذا المعبد ونقلته إلى جزيرة أسوان توطئة لإعادة بنائه. حدث هذا في أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٠.



**معبد دابود قبل أن تفك أحجاره وتنقل إلى حيث سيعاد بناؤه**

### ٣- معبد قرطاسي

يقع هذا المعبد الصغير على مسافة ٥٤ كيلومتراً إلى الجنوب من سد أسوان، ويرجع عصره إلى العهد الروماني، وهو يعتبر من أجمل المعابد في منطقة النوبة السفلى وقد تهدمت معظم أجزائه في القرن العشرين، وقامت مصلحة الآثار بنقل حجارته إلى جزيرة أسوان في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٠.

وإلى الجنوب من هذا المعبد يوجد محجر كبير قد أخذت منه الأحجار الضخمة التي استعملت في تشييد معابد "فيلة" ويمتاز بوجود كثير من التماثيل المنقورة في بعض أجزائه، كما يوجد على مقربة منه حصن روماني لاتزال الجدران المحيطة به قائمة يتوسطها مدخل كبير شيدت بوابته من الحجر.

### ٤- معبد تافا

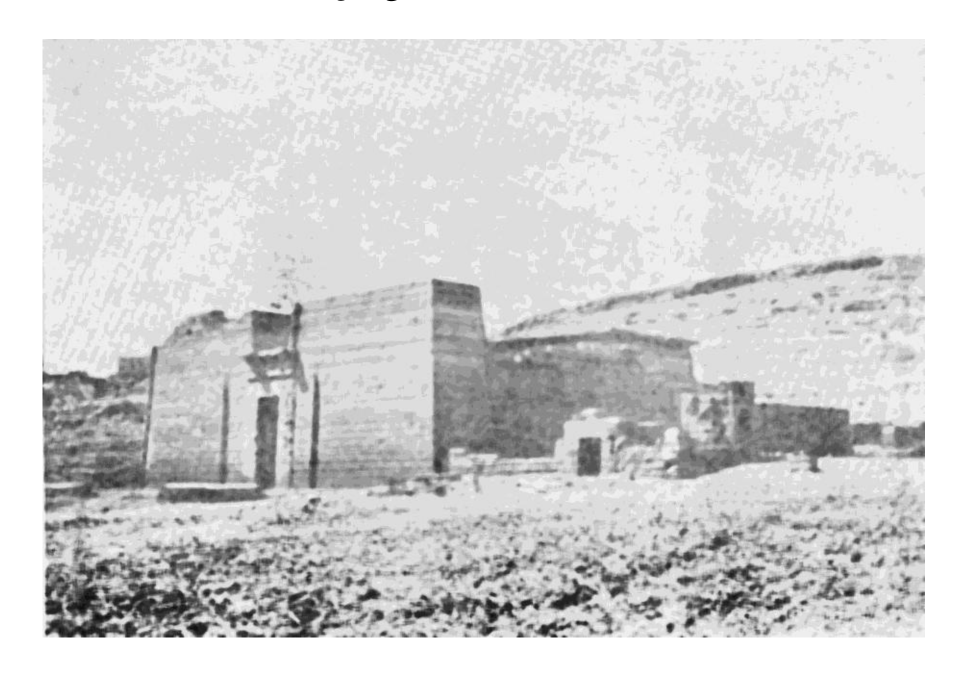
يقع هذا المعبد على مقربة من قرطاسي. ويبدو أن هذه المنطقة اكتسبت أهميتها منذ العصر الذي اشتدت فيه المقاومة بين قبائل "البليمي" والرومان.

وحتى عام ١٨٨٠ كان هناك معبدان، اختفى أحدهما تماماً، واستعمل أهل المنطقة حجارته في بناء منازلهم في أوائل القرن العشرين، وبقي الثاني قائماً، وهو عبارة عن معبد صغير بني على أساس مرتفع، ويتكون من صرح يتجه نحو الجنوب ويوصل إلى صالة للأعمدة ثم قدس الأقداس.

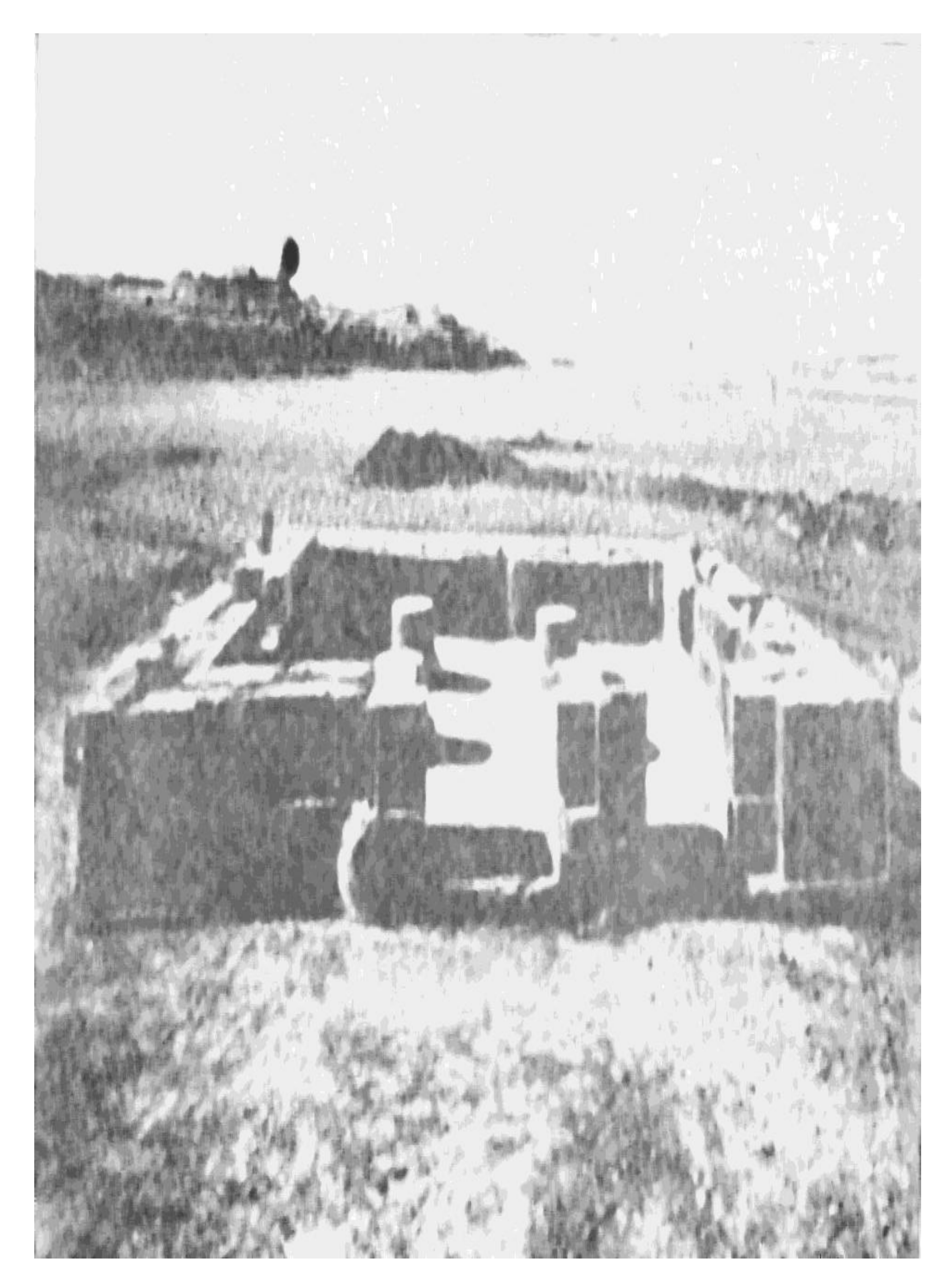
وقامت مصلحة الآثار في سبتمبر سنة ١٩٦٠ بفك حجارة هذا المعبد ونقلتها إلى جزيرة أسوان توطئة لإعادة بنائه.



**بقايا كشك قرطاسى قبل نقلها**



## مقصورة محجر قرطاسى



**الجزء الأسفل من معبد تافا أن رفعت أحجار الجزء العلوي منه**

### ٥ - معبد كلابشة

أكبر المعابد المشيدة في بلاد النوبة السفلى، فهو هنا يقارن بمعبد الكرنك بالأقصر! وهو يبعد عن سد أسوان بحوالي ٥٧ كيلومتراً.

بني هذا المعبد في عصر الدولة الحديثة، وفي عصر الملك أمنحتب الثاني على وجه التحديد "القرن الخامس عشر قبل الميلاد"، وكان ملحقاً بأحد الحصون المنيعة التي بنيت في هذا العصر بين أسوان في الشمال ونباتا عند الجندل الرابع في الجنوب، هذا علاوة على أن هذه المنطقة بالذات كانت ذات أهمية كبيرة إذ قامت على مقربة منها مدينة "تالميس" القديمة.

إلا أن المعبد بشكله الحالي يرجع إلى أواخر العصر البطلمي ثم زاد عليه بعض أباطرة الرومان مثل أغسطس، وكاليجولا، وتراجان.

ويمتاز هذا المعبد الذي كان قد خصص لعبادة إله الشمس النوبي "ماندوليس"، بنص تاريخي كتبه أحد ملوك دولة مروي واسمه "سيلكو" – القرن الخامس الميلادي – وتحدث فيه عن انتصاراته المتتابعة ضد قبائل البليمي، ويبدأ النص كالآتي:

"أنا سيلكو الملك النوبي القوي، لقد حضرت مرتين إلى تالميس وتافيس، وحاربت ضد البليمي، ووهبني الله النصر، ثم هزمتهم مرة أخرى، وكنت قد حصنت نفسي هناك مع جنودي. وفي آخر الأمر طلبوا السلام مني، بعد أن أقسموا على معبوداتهم، ووثقت بهم لأنهم ممن يحتفظ بوعده، ومن ثم عدت

**إلى بلدي في النوبة العليا، لأنني ملك، ولست ممن يسيرون في ركاب ملوك آخرين، بل إني أتقدمهم".**

## ٦ - معبد "بيت الوالي"

**ويقع هذا المعبد على مقربة معبد كلابشة السالف الذكر وإلى الشمال الغربي منه.**

**وهو أول المعابد الستة التي نقرها رمسيس الثاني في الصخر ببلاده النوبة.**



**معبد كلابشة**



**منظر للإلهة إيزيس على أحد جدران معبد كلابشة**



منظر يمثل الرمز الذى به المصري إلى اللانهائية والأعوام الطويلة بالنسبة للملوك (معبد كلابشة)



**الإلهة إيزيس ترضع الملك رمسيس الثانى فى قدس الأقداس فى معبد بيت الوالي**

ويتكون هذا المعبد من فناء أمامي مشيد من الأحجار ثم صالة أعمدة وقدس أقداس وكلاهما منقور في الصخر.

ولعل أجمل وأهم نقوش هذا المعبد هو المنظر المنقوش على الجدار الجنوبي للفناء، ويمثل الملك ومعه بعض أبنائه، يمتطي كل منهم عربته الحربية ويهاجمون مع جندهم مجموعة من الزنوج أخذت تفر هاربة متجهة نحو قرية بنيت أكواخها في غابة من شجر الدوم. ولقد أبدع الفنان في تصوير الحياة اليومية في هذه القرية.

٧ - معبد "دندور"

يقع هذا المعبد الصغير على الشاطئ الغربي وعلى بعد ٧٨كم إلى الجنوب من أسوان، شيده الإمبراطور أغسطس "٣٠ ق.م" ويمتاز بأنه خصص لعبادة شخصين عاديين اعتبرا من بين الأبطال ورفعهما الإمبراطور الروماني إلى مصاف الآلهة، وهما "باديسة" "عطية إيزيس" و"باهور" "عبد حوريس".

ولعل من أهم النصوص التي سجلت فوق جدرانه هو ذلك النص المكتوب باللغة القبطية والذي يتحدث عن تحويل هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية، ويبدو أنه قد سجل حوالي عام ٧٧٥ ميلادية وأوصى بتسجيله الملك النوبي المدعو "إكيسبانومي".



**معبد دندور**

**٨ - معبد جرف حسين**

يقع هذا المعبد وهو ثاني معابد رمسيس الثاني المنقورة في الصخر، على مسافة ٩٠كم إلى الجنوب من سد أسوان.

ومن المعروف أن صاحب هذا المشروع ومنفذه هو نائب الملك والمولى علي كوش المدعو "ستاو"، ولقد خصص لعبادة الإله بتاح المبعود الأول لمدينة منف القديمة وشاركه أيضاً بعض الآلهة الأخرى ممن اندمجوا في عبادته مثل "بتاح تاتنن" والإلهة "سخمت" كما أن الملك رمسيس الثاني رأي في نفسه القدسية الإلهية التي تجعله يستحق العبادة من شعبه فنراه ممثلاً كواحد من آلهة هذا المعبد.

شيد الفناء الخارجي من الأحجار في حين نقرت الأجزاء الباقية من المعبد داخل الصخر وهي صالة الأعمدة الكبري ويليها صالة أخرى صغيرة ثم قدس الأقداس.

ومما يُذكر هنا الاختلاف الواضح في الأسلوب الفني الذي استعمل في نحت التماثيل والأسلوب الذي انتشر في المعابد الأخرى التي شيدها أو نقرها الملك رمسيس الثاني، أقصد بذلك أن الملك لابد وأنه استعان ببعض الفنانين المحليين الذين لم يتقنوا صناعة التماثيل ولم يتدربوا فنياً على النسب التي اشتهر بها الفن المصري طوال العصور.

ويجدر بنا أيضاً أن ننوه بالمجهود الكبير الذي قامت به مصلحة الآثار في العام الماضي لإزالة الطبقة السوداء القاتمة التي كانت تغطي معظم جدران هذا

**المعبد واختفت من ورائها الألوان التي كانت من أهم العناصر التي اعتمد عليها فن النقش عند المصريين القدماء.**

**ولقد ظهرت هذه الألوان مرة ثانية زاهية متعددة فأكسبت المعبد قيمة فنية لم تكن له من قبل.**



**أعمدة الفناء الخارجي لمعبد جرف حسين**



**رأس أحد تماثيل رمسيس الثاني  القائمة على جانبى صالة الأعمدة الكبرى بمعبد جرف حسين المنحوت فى الصخر**

### ٩ - معبد الدكة

نعتبر هذا المعبد ثاني المعابد الكبري المشيدة ببلاد النوبة السفلى.

ويقع على مسافة ٢٠٧ كم إلى الجنوب من أسوان.

ويبدو أنه قد بني على انقاض معبد قديم يرجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة إلا أن البناء الحالي يرجع إلى عصر الملك النوبي "أركمون" الذي قلنا عنه فيما سبق إنه كان معاصراً للملك بطليموس الثاني وأنه نشأ نشأة متأثرة بالثقافة الإغريقية إلا أن بعض أجزاء هذا المعبد شيدت في عصر الأباطرة الرومان.

ويتميز هذا المعبد بأنه يمتد في محاذاة النيل بحيث يتجه في محوره من الشمال إلى الجنوب.

وهو بذلك يخالف بقية المعابد التي كانت تصل في فنائها الخارجي إلى شاطئ النيل ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق النهر.

يمتاز هذا المعبد أيضاً بأهمية تاريخية إذ التقت بالقرب منه قوات الرومان بقيادة الحاكم الروماني "بترونيوس" مع القوات النوبية بقيادة الملكة "كنداكي" حوالي عام ٢٣ ق.م.

ولقد تحول هذا المعبد – حاله في هذا حال معظم معابد النوبة – إلى كنيسة في العصر المسيحي.

### ١٠ –قلعة كوبان

تقع هذه القلعة على مقربة من معبد الدكة وإلى الجنوب منه. ولعل السبب في تشييدها أنه كانت على مقربة منها مدينة "بسلكيس" – أي مدينة العقرب–

**التي لعبت دوراً كبيراً في العصور القديمة، ليس فقط لأنها كانت محاطة بمسافات شاسعة من الأرض الطيبة الصالحة للزراعة، بل ولوجود الطريق الهام الذي كان يوصل إلى المناجم الشهيرة باستخراج الذهب في وادي العلاقي، وهي مناجم يحتاج الأمر إلى حماية الطريق الموصل إليها.**



**معبد الدكة**

وترجع هذه القلعة إلى عصر الدولة الوسطى، ولعلها كانت إحدى القلاع التي شيدها ملوك الأسرة الثانية عشر "٢٠٠ ق.م" لتأمين منطقة بلاد النوبة السفلى.

ولقد بقيت هذه القلعة طوال العصور بمثابة حلقة الاتصال بين الوادي ومنطقة المناجم.

ولابد أن كميات الذهب كانت تختزن فيها تحت حراسة دقيقة حتى يتم نقلها إلى العاصمة.

ومما يؤسف له أن مياه خزان أسوان قد طغت على هذه القلعة فتهدمت جدرانها ولم يبق منها إلا أجزاء قليلة كانت مشيدة من الحجر.

ولقد كشف معول الحفار عن الكثير من الأحجار المكتوبة، أهمها لوحة حجرية سجل عليها "رميس الثاني" قصة طريفة وهي أن أباه "سيتي الأول" كان قد لقي صعوبات جمة لقلة المياه في وادي العلاقي وأنه اضطر إلى نقل كميات كبيرة من المياه إلى المناجم لتكفي مئات من العمال، وأن هذا النقل كان يكلفه الكثير من الجهد والمال، ورأى أن يحاول حفر بئر في الطريق، وتمت المحاولة وتعمق العمال في البئر إلى ما يقرب من ستين متراً ولكن المحاولة ذهبت سدى ولم يظهر أثر للماء.

وتجمع رجال البلاط حول "رميس" وتحدثوا إليه برجاء أنه إذا ما نطق بكلمة ماء وقال "اظهر بين الجبل" فسوف يخرج الماء من الأرض فليس الملك إلا رع وسوف يطيع الماء كلمة الإله. وأطاع رمسيس نصيحة رجاله، وحدثت الأعجوبة وخرج الماء بكميات كبيرة تكفي آلاف العمال.

حدثت هذه الأعجوبة بعد أن تعمق العمال مسافة ستة أمتار فقط في البئر التي حفرها أبوه "سيتي الأول".

### ١١ - معبد وادي السبوع

يقع هذا المعبد على مسافة ١٥٠كم إلى الجنوب من سد أسوان، وهو المعبد الثالث من المعابد التي نقرها "رمسيس الثاني" ببلاد النوبة من الشمال إلى الجنوب.

ونعتقد أن التسمية هنا ترجع إلى صفين من التماثيل على هيئة أبي الهول التي تتقدم واجهة المعبد بين شاطئ النيل والصرح الأمامي.

وفي واقع الأمر لم ينقر في الصخر من هذا المعبد سوى قدس الأقداس وصالة واحدة هي التي تتقدمه في حين أن صالة الأعمدة الكبرى والفناء الخارجي المفتوح قد شيدتا من الأحجار.

حول هذا المعبد أيضاً إلى كنيسة مسيحية وكسيت جدرانه بطبقة سميكة من الجص رسمت فوقها مناظر القديسين وهي مناظر بقيت محتفظة بكثير من تفاصيلها وألوانها الزاهية.

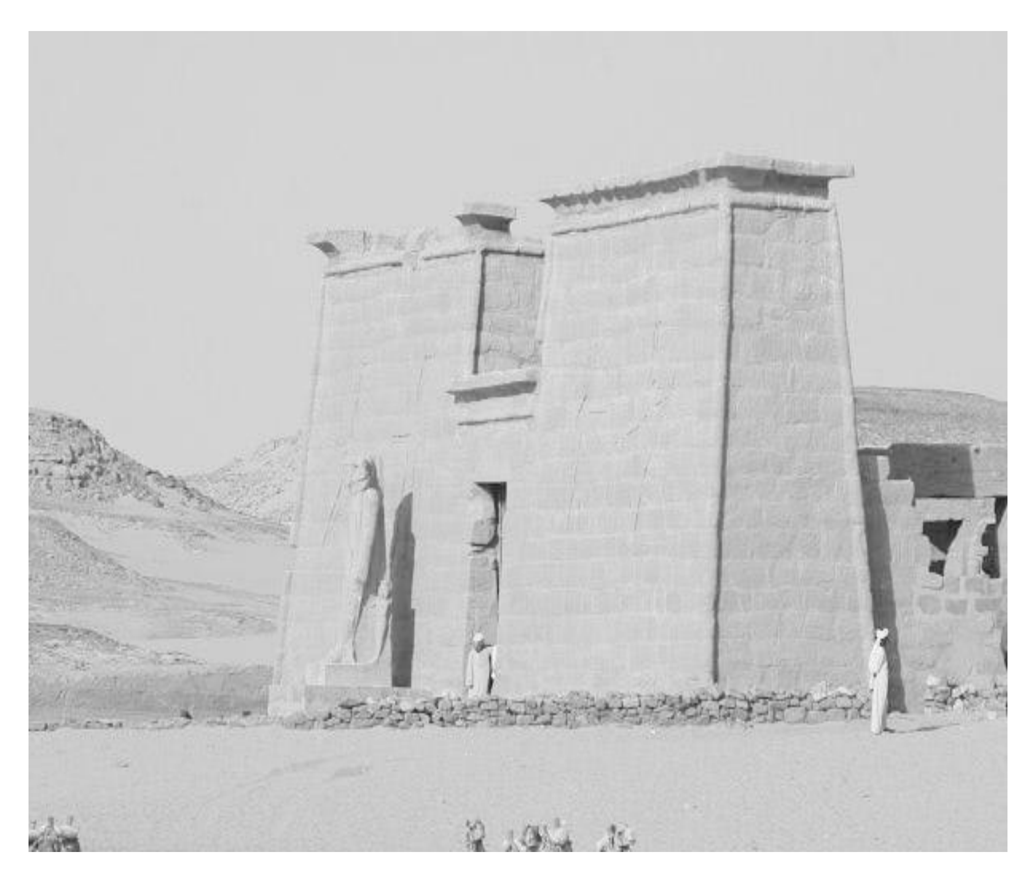
### ١٢ - معبد عمدا

يقع هذا المعبد على مسافة ١٨٥كيلو متراً إلى الجنوب في سد أسوان، وهو أقدم المعابد القائمة في بلاد النوبة، إذ شيده تحتمس الثالث وزاد عليه ابنه أمنحوتب الثاني، ومن بعده تحتمس الرابع، ولقد اعتدي عليه وخربت بعض أجزائه في عصر إخناتون، كجزء من الحملة التي أرسلها هذا الملك لتخريب كل

المعابد التي خصصت لعبادة آمون، حتى تلك المشيدة في بلاد النوبة السفلى والعليا، إلا أن الملك سيتي الأول أمر بترميمه وإعادته إلى ما كان عليه.

ولنقوش هذا المعبد أهمية تاريخية ونخص بالذكر النص المشهور الذي أمر بتسجيله الملك أمنحوتب الثاني متفاخراً فيه بقوته وشجاعته.

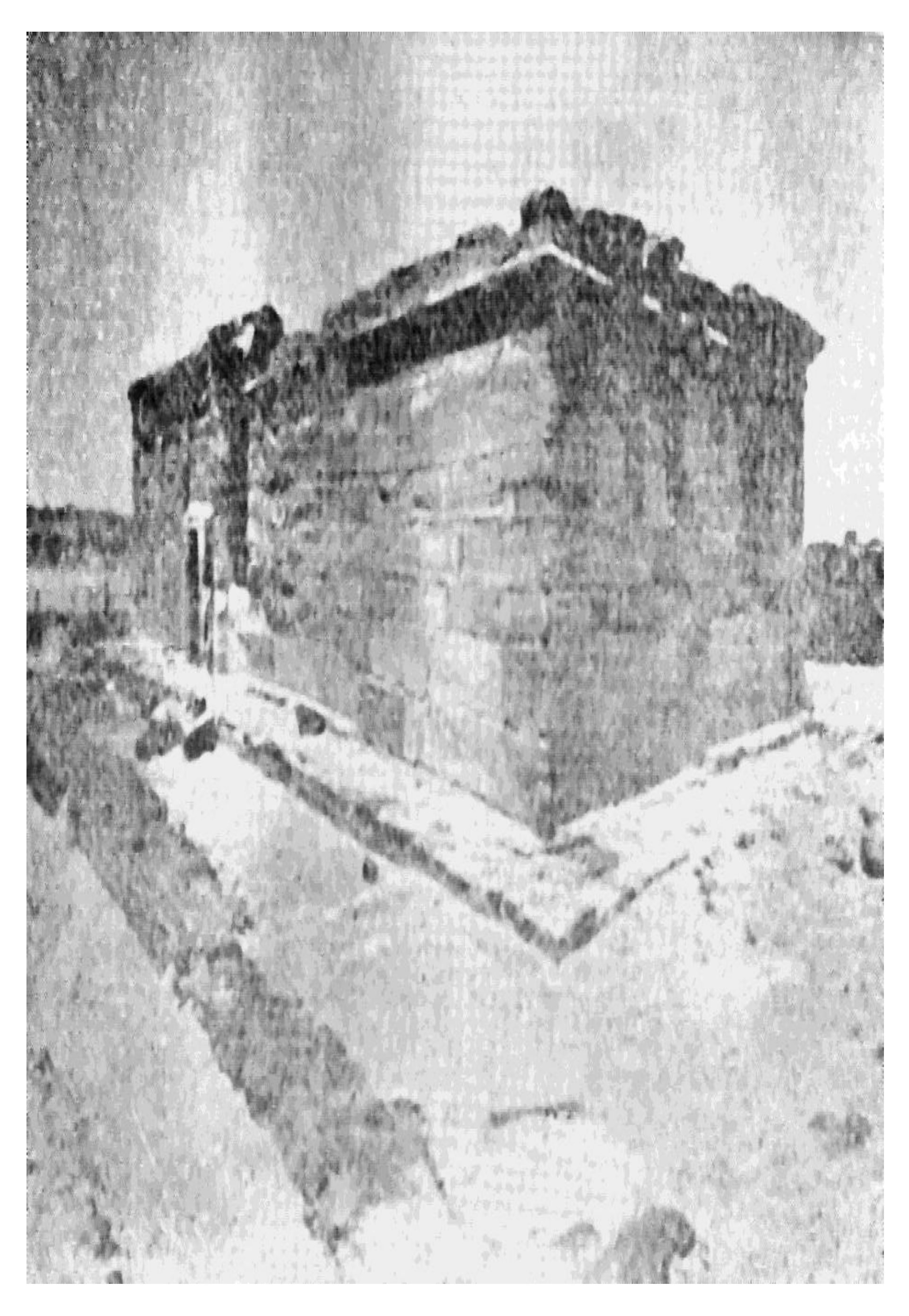
حول هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية، وطليت جدرانه بالجير الأبيض لإخفاء الصور والنقوش المصرية، ولقد حافظت هذه الطبقة على الألوان الأصلية التي لايزال بعضها ظاهراً حتى الوقت الحاضر.



صرح معبد وادى السبوع وأمامه تمثال واقف لرمسيس الثانى



**منظر من قدس الأقداس يمثل رمسيس الثانى وهو يقدم الزهور لمجموعة الآلهة فى قدس الأقداس**



**معبد عمدا من الخلف**

### ١٣ - معبد الدر

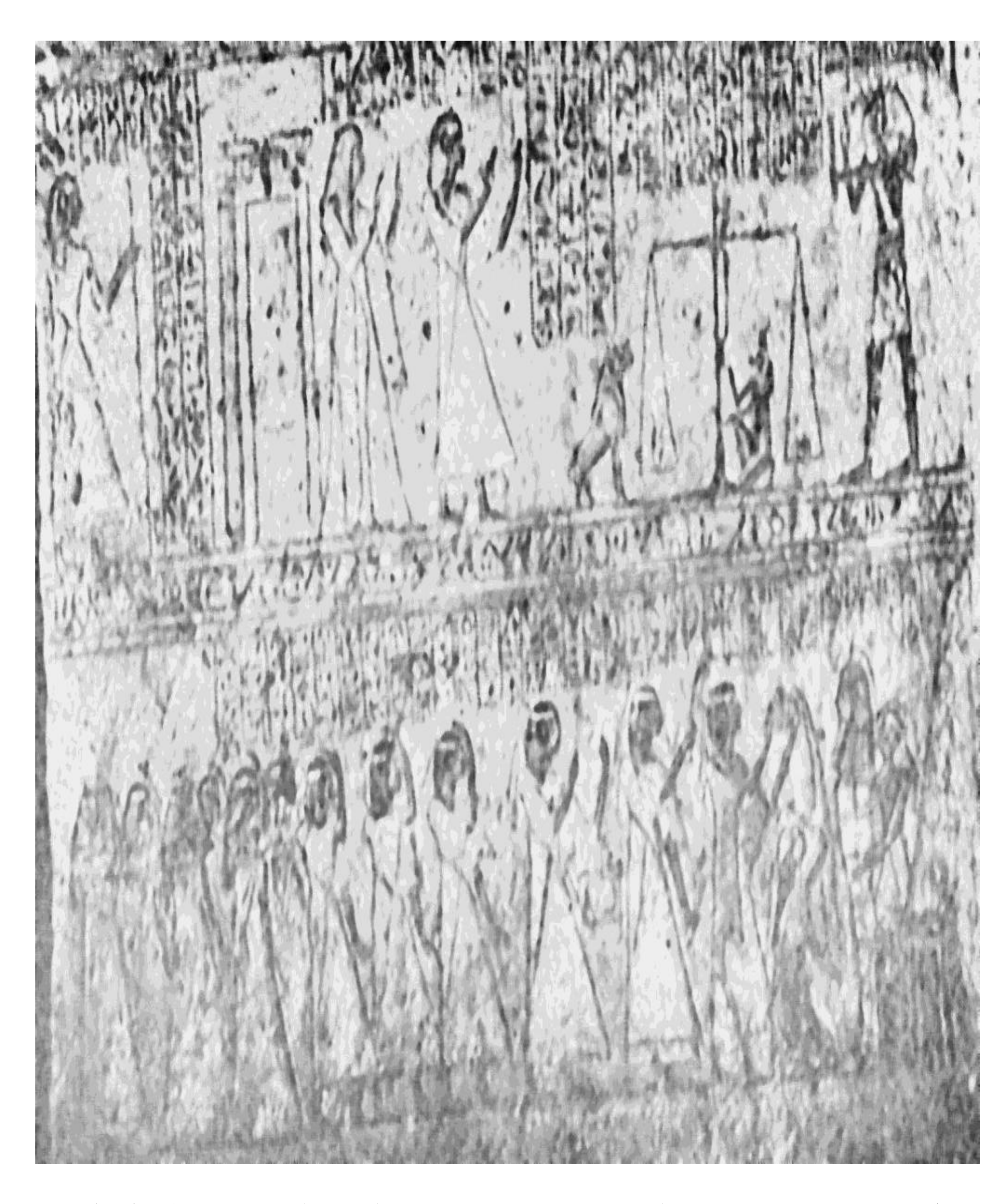
ويقع على مسافة ٢٠٠ كيلومتر إلى الجنوب من سد أسوان، وهو المعبد الرابع من الشمال إلى الجنوب، الذي نقره رمسيس الثاني في الصخر، ولقد خصصه الملك لعبادة الإله "حور أختي" وكذلك كإله للمنطقة.

### ١٤ - قلعة قصر ابريم

تقع هذه القلعة على مسافة ٢٣٥ كيلومتراً إلى الجنوب من سد أسوان، وتمتاز بأنها مشيدة على ربوة صخرية عالية، جعل موقعها يشتهر بمناعته، ونحن لا ندري متى بنيت هذه القلعة ولكن نعرف على وجه التأكيد أنها لعبت دوراً كبيراً في العصر الروماني، وفي الحروب الطاحنة التي قامت بينهم وبين الجيش النوبي.

ونعرف أيضاً أن السلطان سليم الأول – القرن السادس عشر الميلادي – احتل هذه القلعة وترك فيها حامية من جنود البوسنة، ومن الطريف أنهم مكثوا فيها وتركوا لأمرهم، وتزاوجوا من أهل المنطقة ونسي أحفادهم لغتهم الأصلية وتحدثوا باللغة النوبية.

ولاتزال في هذه القلعة آثار مسجد تهدمت أجزاؤه، وعلى سفح الربوة العالية التي تقوم فوقها قلعة قصر إبريم، نجد خمسة هياكل صغيرة منقورة في الصخر، قام بنقرها بعض حكام بلاد النوبة من عصر الدولة الحديثة، ونقشوا على جدرانها بعض الرسوم تمثل ملوكهم يتعبدون إلى آلهة المنطقة، ولم ينسوا أنفسهم فسجلوا أسماءهم علي الجدران.



**منظر من مقبرة بنينوت يمثل السفلى منهما مجموعة من النساء المتنحبات والمنظر العلوى يمثل صاحب المقبرة ومن خلفه زوجته أمام الميزان**

والسبب في وجود هذه الهياكل في هذا المكان بالذات، هو أن عاصمة بلاد النوبة إبان عصر الدولة الحديثة كانت تبعد عنه بضعة كيلومترات إلى الشمال، وهي العاصمة "ميعم" والمعروفة الآن باسم "عنيبة"، ومن الطريف أن نعلم أن حكام النوبة الذين استقروا في هذه العاصمة يشرفون منها على شئون الجنوب ويديرون دفة الحكم فيها لم يختاروا جبانتها لتشييد مقابر لهم، والسبب في ذلك واضح، إذ أن المصري كان يهتم اهتماماً كبيراً بأن يحظى بمقبرة في حياته لها قدسية معينة ويدفن فيها بعد أن تقام لجثته المحنطة عدة طقوس هامة منها زيارة معبد الإله أوزيريس في أبيدوس.

ومن أجل هذا لم نعثر إلا على مقبرة واحدة لأحد هؤلاء الحكام، وهو "بننوت" الذي عاصر الملك رمسيس السادس – القرن الثاني عشر قبل الميلاد– والذي كان نوبياً نشأ وترعرع في هذه المدينة، ثم وصل إلى وظيفة حاكم بلاد النوبة، واختار حياته "عنيبة" لتشييد مقبرته فيها، وهي من أجمل المقابر في المنطقة ولا تزال النقوش والمناظر المنقوشة فوق جدرانها محتفظة بألوانها الزاهية.

### ١٥ - معبد "أبو سمبل"

الواقع أن هناك معبدين في "أبو سمبل"، وكلاهما نقر في الصخر في عصر الملك رمسيس الثاني، وهما بذلك يعتبران المعبدين الخامس والسادس في بلاد النوبة من عصر هذا الملك، والمعبدان: الأول للملك والثاني للملكة، متقاربان لا يفصلهما إلا واد صغير، كان ولايزال تتكدس فيه الرمال التي تجلبها الرياح.

ويعتبر المعبد الأول من أضخم وأهم المعابد التي شيدت في عصر الدولة الحديثة، بل ويعتبر الوحيد من نوعه في العمارة البشرية، ونكاد نعتقد أن رمسيس الثاني قد ميز منطقة "أبو سمبل" على غيرها من المناطق الأخرى التي شيد بها معابده، نظراً لأنها كانت من الأماكن التي قدسها المصريون من أقدم العصور، ولدينا من الأدلة ما يثبت أن "خوفو" – أحد ملوك الأسرة الرابعة ومشيد الهرم الأكبر ٢٨٠٠ ق.م – قد أقام معبداً هناك، كما أن هذه المنطقة كانت تحوي معبداً من عصر الدولة الوسطي.

يطالعنا المعبد الكبير بواجهته الضخمة التي تعتبر أروع ما نفذه المهندس المصري القديم وذلك بالنسبة إلى التناسق الفني بين عناصرها والانسجام الرائع بين الأثر نفسه، والبيئة الجبلية التي حفر فيها.

نحتت هذه الواجهة على هيئة صرح ارتفاعه ثلاثون متراً وعرضه أربعون متراً، ويعلو هذا الصرح أكثر من عشرين تمثالاً لقردة واقفة على أقدامها رافعة أيديها إلى أعلى محيية الشمس عند شروقها من بين قمم التلال العالية الممتدة على الشاطئ الشرقي. وغير هذا فقد نحت الفنان أربعة تماثيل ضخمة تمثل رمسيس الثاني جالساً على عرشه، وهي تعتبر من أضخم التماثيل التي نحتها المصري، إذ يبلغ ارتفاع الواحد منها أكثر من عشرين متراً.

يتوسط الواجهة المدخل الموصل إلى الصالات الداخلية للمعبد، ونصل منه إلى صالة الأعمدة الكبيرة التي تحوي أعمدة مربعة، شكلت جوانبها المطلة علي الردهة على هيئة تماثيل ضخمة للملك تمثله في هيئة أوزيرية.

ولقد امتلأت جدران هذه الصالة بمناظر مختلفة كلها تسجل مواقف حربية جريئة للملك، وأهمها تلك المسجلة على الجدار الشمالي والخاصة بمعركة قادش المشهورة التي خاضها الملك في السنة الخامسة من حكمه، وحاول غريمه ملك الحيثيين "خاتوسيلا" أن يغرر به ويوقعه في كمين، لولا يقظته وشجاعته الخارقة، فاستبدل بالهزيمة المنكرة نصراً مبيناً.

ونصل بعد صالة الأعمدة الكبيرة إلى صالة أخرى صغيرة تحوي أربعة أعمدة، ومن ثم نصل إلى قدس الأقداس وهو يحوي أربعة تماثيل ضخمة لآلهة المعبد وهم "بتاح" و"حور آختي" و"آمون" و"رمسيس الثاني" نفسه، ومن أهم المظاهر التي تميز هذا المعبد عن غيره من معابد المصريين القدماء، دخول أشعة الشمس في الصباح المبكر إلى قدس الأقداس ووصولها إلى التماثيل الأربعة، فتضيء هذا المكان العميق في الصخر، والذي يبعد عن المدخل بحوالي ستين متراً.

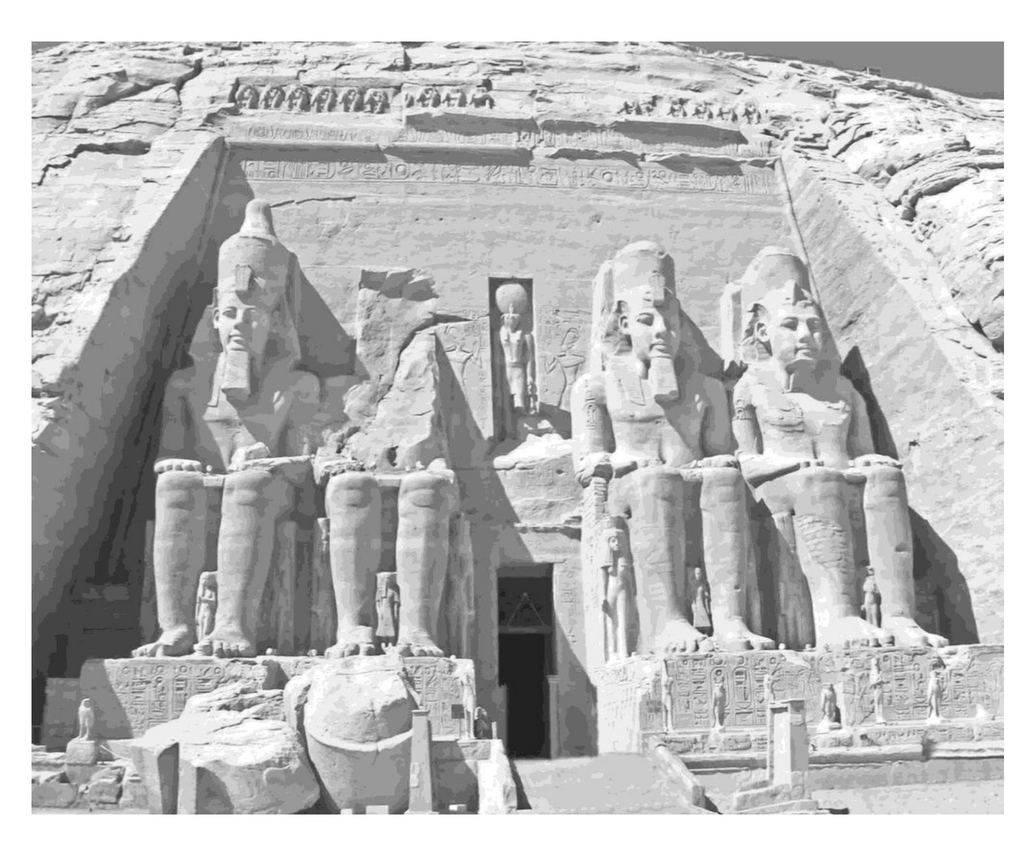
أما المعبد الصغير والذي يقع إلى الشمال من المعبد الكبير، فقد خصص لعبادة الإلهة المحلية للمنطقة "حاتحور" ولعبادة الملكة "نفرتاري"، وهو وإن كان لا يقارن مع الأول في الحجم الكبير فإن رسومه ونقوشه أتت لوحاتٍ دقيقة تنم عن جمال صاحبته وأنوثتها الفاتنة.

نحتت واجهة هذا المعبد، حاوية لست مشكاوات، ثلاث منها على كل جانب من جانبي المدخل، وحوت تماثيل للملكة نفرتاري وزوجها رمسيس الثاني، ونحتت من نفس الصخر ويزيد ارتفاع كل منها على أحد عشر متراً. ويحوي هذا المعبد صالة للأعمدة بها ستة أعمدة شكلت قممها علي هيئة رأس حتحور، ثم صالة أخرى مستعرضة ثم ثلاث حجرات، الوسطى منها كانت قدس الأقداس.

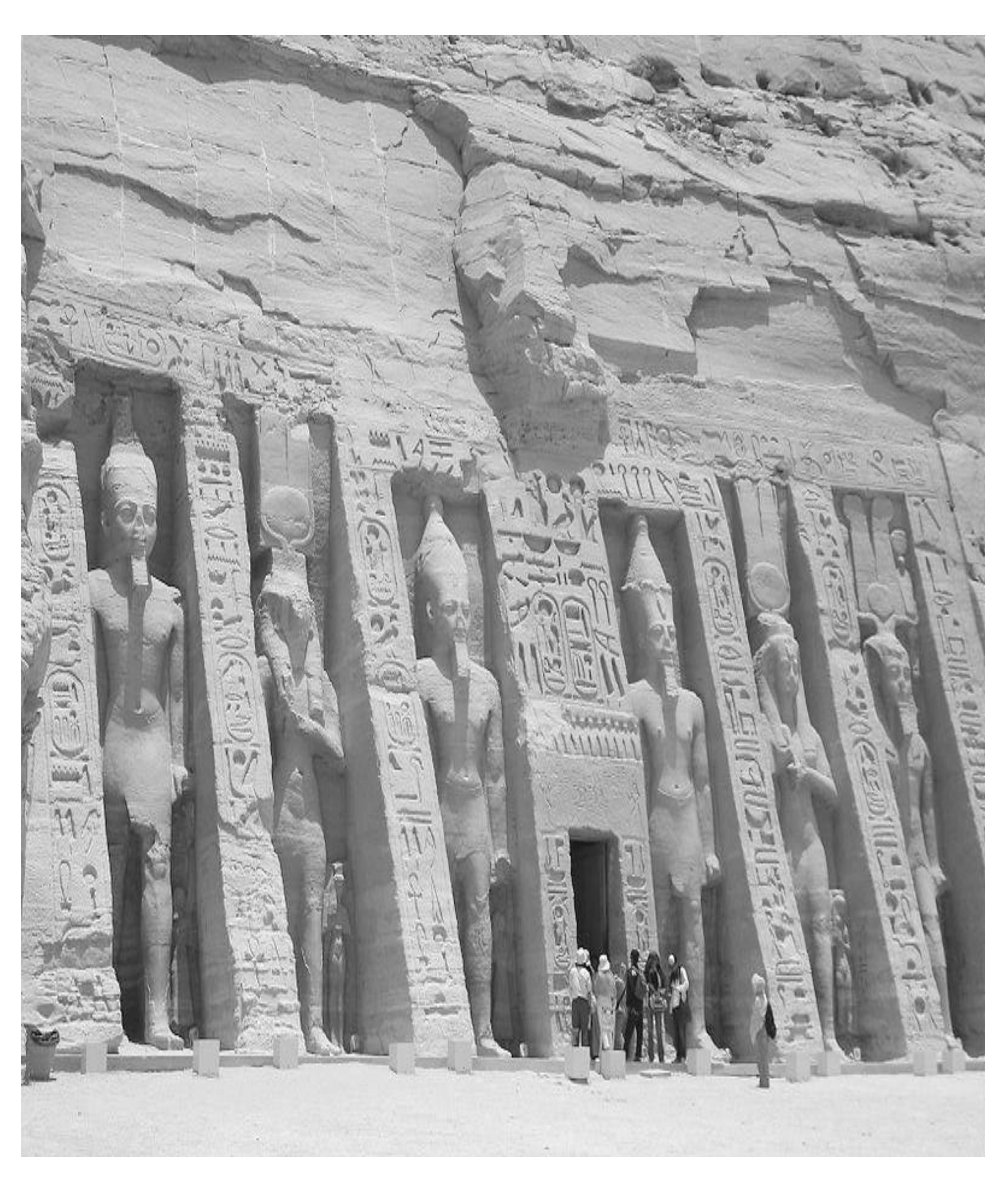
### ١٦ -معبد "أبو عودة"

يقع هذا المعبد الصغير على الشاطئ الشرقي أمام معبد "أبو سمبل" نقره في الصخر الملك "حور محب" أول ملوك الأسرة التاسعة عشر، وهذا المعبد الصغير يعتبر من أجمل المعابد من الناحية الفنية، ويحوي المعبد صالة ذات أعمدة تقع على جانبها حجرتان، وفي نهايتها حجرة ثالثة هي قدس الأقداس.

حول هذا المعبد إلى كنيسة مسيحية، وقد كسيت جدرانه بطبقة من الجص، رسمت فوقها صور بعض القديسين، ولقد حافظت هذه الطبقة على النقوش المصرية محتفظة حتى الآن بألوانها الأصلية.



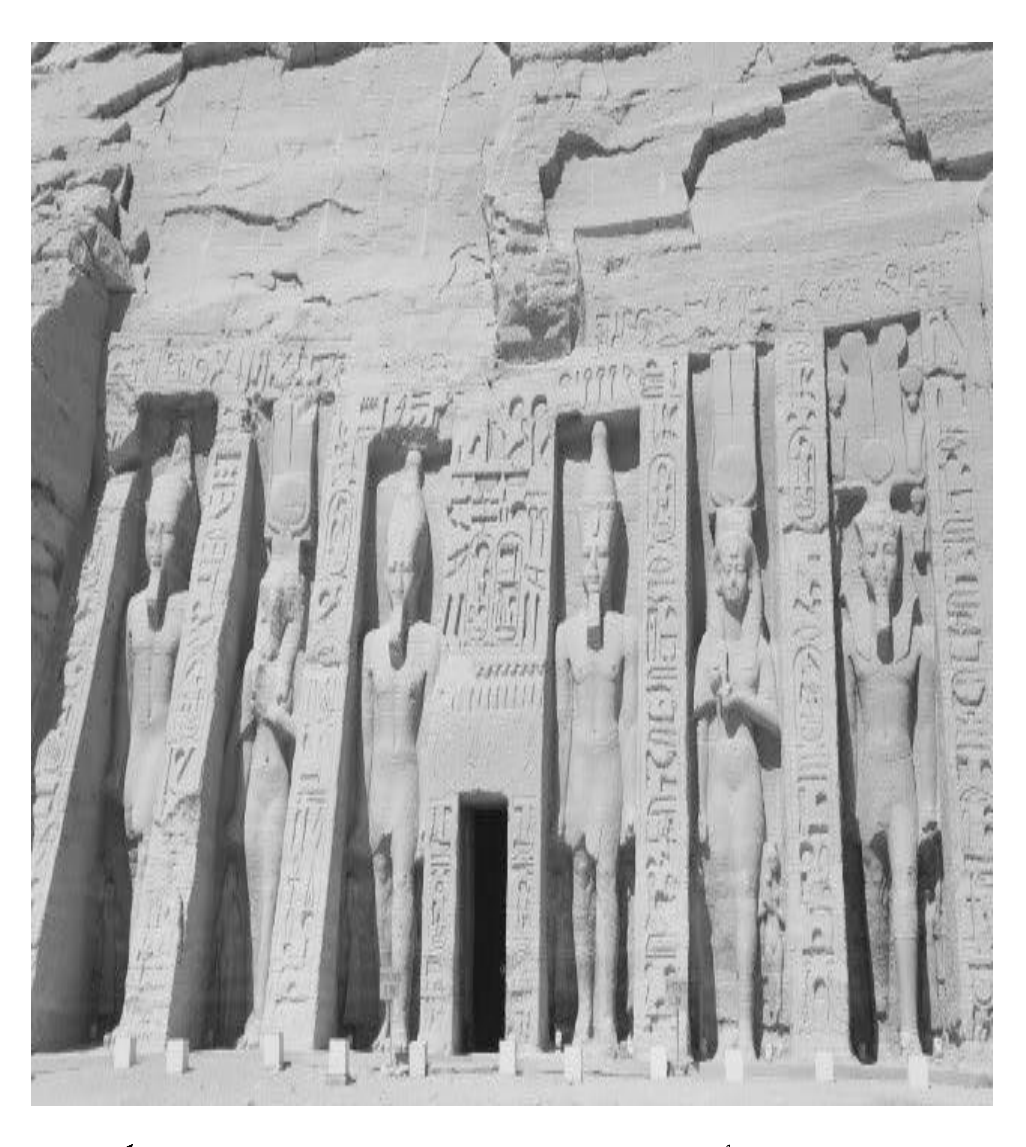
منظر عام لمعبدى "أبو سمبل"



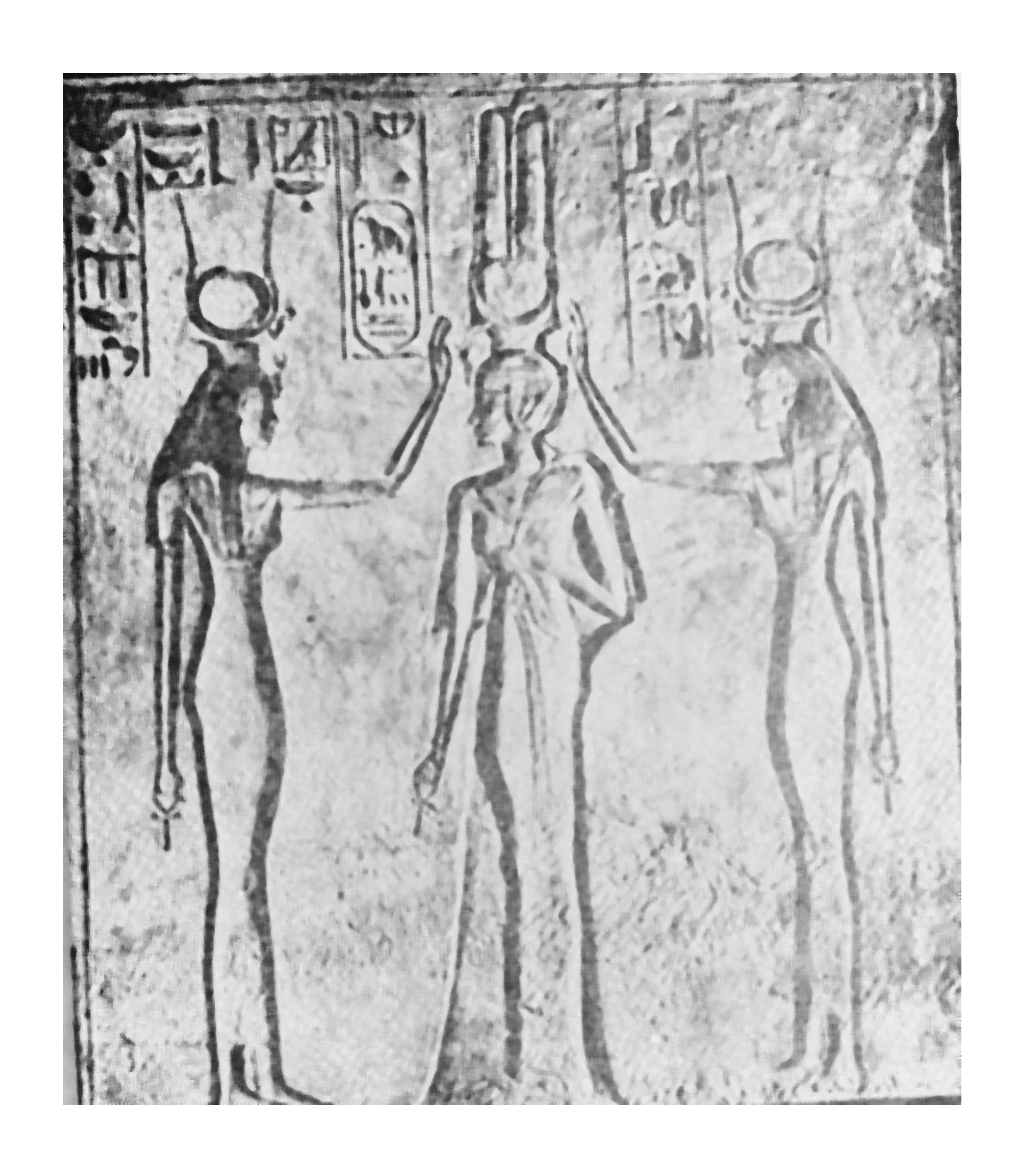
**واجهة معبد "أبو سمبل " الكبير يتصدرها رمسيس الثانى الضخمة التى نحتت فى الصخر الطبيعى للمنطقة**



**صالة الأعمدة الكبرى بمعبد "أبو سمبل" الكبير يحف بها من الجانبين صفان من التماثيل لرمسيس الثانى فى وقفة أوزيرية**



**واجهة المعبد الصغير " أبوسمبل" وقد ظهرت تماثيل رمسيس الثانى وزوجته الملكة نفرتارى التى نحتت فى الصخر**



**منظر يمثل الإلهة إيزيس حتحور تتوجان الملكة نفرتارى وهو أحد المناظر الموجودة بمعبد "أبوسمبل" الصغير**



**منظر لقديس من العصر القبطي فى سقف معبد أبو عوده**

هذه هي أهم المعابد التي خلفتها لنا العصور القديمة، وبقيت قائمة في هذه المنطقة دليلاً على ما كان يحيط بها من نشاط ديني وثقافي، ونحن نعتبرها من أمجادنا القديمة، والعالم أجمع يعتبرها من بين تراث البشرية.. علينا أن نحافظ عليها وننقذها من بين براثن الخطر الداهم الذي يهددها، هذا الخطر هو في الوقت نفسه رسول الرخاء والعزة والكرامة لأهل مصر، وهو السد العالي الذي سيرفع الماء من أمامه إلى ١٨٠ متراً فوق سطح البحر، مكوناً بحيرة تعتبر أوسع وأضخم البحيرات الصناعية في العالم، ولكن سوف تغوص هذه المعابد في باطن هذه البحيرة وسوف تختفي إلى الأبد، إذا قصرت البشرية في إنقاذها، إلا أن الجهود تبذل لتحقيق الإنقاذ، وهي جهود جماعية سوف لا ننفرد بها نحن، بل سيشترك فيها كل شعوب العالم المتحضر.

وإني سأسرد للقارئ على الصفحات القادمة قصة هذه الجهود منذ أن بدأت حتى يومنا هذا، كما سأخصص صفحات كاملة للتحدث عن مشروع إنقاذ معبدي "أبو سمبل"، إذ إن معضلته تعتبر أكثر معضلات آثار النوبة تعقيداً، ولقد طال النقاش عنها وملأ أسماع العالم، بل لا أغالي إذا قلت: إن مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة، يفهم في كثير من بلاد العالم علي أنه مشروع إنقاذ معبدي "أبو سمبل".

# تاريخ البحث العلمي

# في بلاد النوبة

كان بناء سد أسوان فاتحة خير كبير للدراسات الأثرية بالنسبة إلى بلاد النوبة السفلى التي ظلت – شأنها في ذلك شأن أمم الشرق القديم – غارقة في ظلام دامس قروناً عديدة، لا نعرف عنها إلا القليل الذي وصل إلينا من أولئك الكتاب الإغريق والرومان الذين قلنا إنهم أخذوا يتجولون في بلاد الشرق القديم منذ أواخر القرن السادس قبل الميلاد.

وما كادت الحكومة المصرية تفكر في بناء سد أسوان حتى تحرك العلماء وتسابقوا للكشف عن آثار هذه المنطقة قبل أن تغمرها مياه السد.

ولعل من أهم الدوافع التي جعلت البعثات العلمية تسارع للكشف عن آثار بلاد النوبة السفلى أنهم رأوا كيف طغت مياه سد أسوان عام ١٩٠٢ على معابد جزيرة فيلة "أنس الوجود".

وعندما أعلنت الحكومة المصرية عن نيتها في تعلية السد للمرة الأولى في عام ١٩٠٧، عهدت مصلحة الآثار إلى أحد رجالها بإعداد تقرير مستفيض عن بلاد النوبة وآثارها المشيدة، وتلك المدفونة في باطن الأرض.

ثم عهدت إلى بعض العلماء بأن يقوموا بالنشر عن معابد بلاد النوبة نشراً علمياً محققاً.

وكانت أهم البعثات التي تولت العمل في هذه المنطقة هي بعثة مصلحة الآثار التي تولت البحث عن الآثار المدفونة على شاطئ النيل على طول المسافة التي ستغرقها المياه "أكثر من مائتي كيلومتر إلى الجنوب من السد".

وتولي الإشراف على هذه البعثة العالم الأمريكي د. "جورج رايزنر" الذي أخذ على عاتقه أن يبحث هذه المنطقة الممتدة متراً بعد متر، لم يترك جبانة دون الكشف عن مقابرها ووصف محتوياتها وصفا علمياً دقيقاً، كما أنه رأى أن دراساته يجب أن تستكمل بفحص الهياكل البشرية التي عثر عليها في المقابر، فكون بعثة أخرى تكميلية رأسها د. "إليوث سميث" مهمتها أن تقتفي خطى البعثة الأثرية، وتتولى بحث الجماجم لتحديد الجنس البشري الذي تنتمي إليه هذه المجموعات البشرية، وتتولى أيضا درسة طرق التحنيط وما بقي في الهياكل البشرية من آثار لأمراض مستوطنة وغير ذلك. وقامت هاتان البعثتان بنشر نتائج أبحاثهما في كتاب ضخم من جزءين.

وفضلاً عن هذه البعثات، أوفدت أكاديمية العلوم الألمانية بعثة كانت مهمتها الرئيسية نقل نصوص معبد فيلة وتصوير كل أجزاء المعبد وعمل قوالب جصية لأهم مناظره ونقوشه التاريخية.

ثم قامت هذه البعثة بعد ذلك بالبحث والتنقيب في منطقتين هما توشكى وأرمنا. وتتابعت بعد ذلك المؤلفات التي نشرت عن أعمال الحفر والتنقيب

العلمي وبلغت الكتب التي نشرتها مصلحة الآثار المصرية بمفردها اثنين وعشرين مؤلفاً.

وقبل البدء بالتعلية الثانية أي في عام ١٩٢٩ أوفدت مصلحة الآثار بعثة كبيرة اشترك فيها لأول مرة مصريون ممن درسوا الآثار في الجامعة.

وأخذت هذه البعثة على عاتقها الكشف عن جميع الآثار المطمورة في باطن الأرض فيما بين منطقة وادي السبوع في الشمال ومنطقة بلانة في الجنوب.

واستغرقت أعمالها من عام ١٩٢٩ إلى عام ١٩٣٤.

وأحرزت هذه البعثة انتصارات هائلة في البحث العلمي في منطقتي قسطل وبلانة، إذ عثرت على جبانة في قسطل فيها آثار على جانب كبير من الأهمية الفنية والتاريخية، إذ كانت الجبانة التي وفق رجال هذه البعثة إلى العثور عليها تحوي مقابر ضخمة وكانت عادة الدفن فيها أن توضع جثة صاحب المقبرة في حجرة داخلية ومعها زوجته وأهل منزله الأعزاء لديه.

ويتضح من حالة هذه الجثث أنها قد قتلت عمداً لتصاحب سيد الأسرة في حياته بعد موته.

ثم يقفل باب المقبرة ويضحى بالعبيد والخدم والحيوانات المستأنسة مثل الكلاب والخيل، ثم الحيوانات الأخرى مثل الحمير والثيران والأغنام والجمال.

وكانت هذه الحيوانات تدفن وعليها سروجها وزينتها التي كانت تصنع من الفضة أو من النحاس، أما الأقمشة التي كسيت بها سروج الخيول والجمال والحمير فقد امتازت بألوان زاهية وصنعة دقيقة.

ولقد وجدت من كل هذه الأدوات نماذج كثيرة.

ومن الغريب أن الأقرباء والأصدقاء كانوا يقومون بعد الانتهاء من كل مراسيم الدفن سواء لجثة صاحب المقبرة أم لجثث أتباعه وخدمه وحيواناته، كانوا يهيلون كميات كبيرة من الأتربة لتغطية المقبرة ولإقامة تل صناعي فوقها كما كانوا يضعون أنواعاً مختلفة من الهدايا وسط هذه الكومة العالية من الأتربة، فقد عثر المنقبون أثناء حفر الكومة على أنواع مختلفة من حراب وسيوف وصناديق وأدوات للتسلية وأوان من الفضة وأشياء كثيرة من أدوات الزينة.

وتكونت من هذه الآثار مجموعة كبيرة معروضة الآن في المتحف المصري.

# المشروع الدولي لإنقاذ
# آثار النوبة السفلى

ما كادت حكومة الثورة تبدأ في التفكير في دراسة المشروع الضخم الخاص بتشييد السد العالي، حتى أخذت مصلحة الآثار التفكير جدياً في المسئولية الكبري التي ستقع على عاتقها، وهي مصير آثار بلاد النوبة التي ستغمرها مياه السد بعد أن يرتفع منسوب هذه المياه إلى ١٨٠ متراً فوق سطح البحر، وسيكون غرق هذه الآثار أبدياً. فأوفدت مصلحة الآثار عام ١٩٥٤ بعثة إلى بلاد النوبة تضم عدداً من علماء الآثار المصرية ورجال الهندسة لوضع تقرير عن إنقاذ هذه الآثار.

وطافت هذه البعثة ببلاد النوبة متفقدة معابدها ومقاصيرها ومناطق جباناتها، ثم وضعت تقريراً نشرته المصلحة في يونيه ١٩٥٥ باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، أوصت فيه بحفر بعض الجبانات الأثرية وتسجيل آثار النوبة من معابد ومقابر ونقوش مختلفة فوق الصخور، ثم بنقل بعض التماثيل من معبد "وادي السبوع" ومعبدي "أبو سمبل" والاكتفاء بنقل بعض المعابد المشيدة مثل معبدي "قرساطى" و"عمدا"، كما نوهت البعثة بالمشروع الذي وضعه المهندس المصري عثمان رستم لإنقاذ معابد جزيرة "فيلة" وأوصت بتنفيذه.

وفي عام ١٩٥٥ اتجه التفكير إلى إنشاء مركز علمي لتسجيل الآثار القائمة تسجيلاً دقيقاً، واتفقت وزارة التربية والتعليم – التي كانت تتبعها

المصلحة حينذاك – مع منظمة "اليونسكو" على إمداد هذا المركز ببعض الفنيين والعلماء والأدوات، وتم المشروع، ولم يكد مركز تسجيل الآثار يبدأ عمله، حتى اتجه نشاطه العلمي نحو بلاد النوبة فأرسل أولى بعثاته في نفس العام إلى بلاد النوبة ووضع المنهج الآتي:

١ – إرسال أربع بعثات سنوية من ١٩٥٥–١٩٥٩ لتسجيل المعابد التي لا تغمرها مياه النيل في موسم الشتاء.

٢ – إرسال بعثة في ديسمبر ١٩٥٩ لتسجيل معبدي "أبو سمبل" واستأنفت أعمالها مرة ثانية في إبريل ومايو سنة ١٩٦٠.

٣ – أرسل المركز ثلاث بعثات صيفية عملت تباعاً في الأعوام ١٩٥٦،١٩٥٧،١٩٥٩.

٤ – بعثة في سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥٩لتسجيل نقوش الصخور بين فيلة وجبل أبو دروة.

ومرت الأعوام ولاحظت مصلحة الآثار أن نشر تقرير البعثة التي أوفدتها عام ١٩٥٤ إلي بلاد النوبة وتوزيعه علي الهيئات العلمية في جميع أنحاء العالم، لم يؤت الثمرة المرجوة، إذ لم يستجب من الهيئات العلمية سوى هيئة "المعهد الألماني للآثار" بالقاهرة، الذي بدأ حفائره في شتاء عام ١٩٥٨في منطقة "عمدا"، واضطرت المصلحة إزاء هذا التباطؤ أن تقوم هي بنصيبها في العمل، وأوفدت بعثة لاستكمال أعمال الحفر في منطقتي "قسطل" و"بلانة"، كما قامت جامعة الإسكندرية في شتاء عام ١٩٥٨–١٩٥٩ بالحفر في منطقة "عدة".

وتلك مسئولية ضخمة ولاشك، مسئولية التنقيب على شاطئ النيل في مسافة تقرب من ٣٥٠ كيلومتراً، مسئولية المحافظة على ١٦ معبداً بعضها مشيد بالحجارة والبعض الآخر منقور في باطن التلال الصخرية، خاصة إذا علمنا أن الإمكانيات الفنية والعلمية والمادية الموجودة لدى مصلحة الآثار لا تكفي مطلقاً للقيام بمشروع الإنقاذ الذي يتطلب القيام بأعمال الحفائر العلمية ونقل المعابد والمقاصير والمقابر وحمايتها.

انتقلت مصلحة الآثار ومركز تسجيل الآثار في عام ١٩٥٩ إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومي، وبدأت هذه الوزارة تفكر جدياً في الالتجاء إلى منظمة دولية كمنظمة اليونسكو للحصول على هذه المساعدات العلمية والفنية والمادية لإنقاذ هذه الآثار التي نعتبرها من التراث البشري ونرى أن المحافظة على هذا التراث واجب مقدس.

وكلمة حق يجب علينا أن نسجلها هنا، وهي أن الجهود التي بذلها ولايزال يبذلها السيد د. ثروت عكاشة وزير الثقافة والإرشاد القومي لاستكمال عناصر هذا المشروع الضخم ونقل العناية به من الحيز المحلي إلى الحيز الدولي، لهي جهود سيسجلها التاريخ له على صفحاته، وسيستمر هذا المشروع مقروناً باسمه علي مدى العصور.

بدأ المشروع بأن أعدت وزارة الثقافة كتاباً أرسلته إلى منظمة اليونسكو بتاريخ ٦ إبريل سنة ١٩٥٩، ضمنته رغبة حكومة الجمهورية العربية المتحدة في الحصول على المساعدات العملية والفنية والمادية لإنقاذ آثار بلاد النوبة بحيث تشمل:

**أولاً : تنسيق الدراسات والأبحاث الخاصة بآثار بلاد النوبة السفلى بإيفاد بعثات للقيام بأعمال الحفر والتنقيب العلمي لتكشف عن المناطق الأثرية التي لم ينكشف عنها بعد، وخاصة في المستويات التي تعلو ١٢١ متراً فوق سطح البحر.**

**ثانياً: تصوير بلاد النوبة بالطريقة الحديثة المعروفة بالتصوير "الفوتوجرا متري" لعمل خرائط للمنطقة المهددة بالغرق.**

**ثالثاً: استكمال تسجيل المعابد والمقاصير والمقابر المنقوشة، والنقوش المحفورة على سطوح الصخر على طول الشاطئ في بلاد النوبة السفلى.**

**رابعاً: فك أحجار المعابد المشيدة، ونقلها خارج المنطقة المهددة، ثم العمل على إيجاد مكان يعاد تشييدها فيه.**

**خامساً: العمل على إيجاد طريقة لإنقاذ المعابد الكثيرة المنقورة في باطن الصخر.**

**وقد رحب المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو بطلب الجمهورية العربية المتحدة وذلك عند عرض هذا الطلب في دورته الرابعة والخمسين في شهر يوليو من عام ١٩٥٩، وقرر المجلس إقامة مؤتمر على مستوى عالمي يتكون من عدد من الخبراء المتخصصين في شئون الآثار، والهندسة، وبناء السدود العالية، لزيارة بلاد النوبة ودراسة مشروع إنقاذ آثارها ووضع تقرير مفصل يتضمن برنامجاً لخطة دولية يمكن تنفيذها، على أن يقدم هذا التقرير للمجلس ويعرض في دورته الخامسة والخمسين التي تعقد في شهر نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٥٩.**

**وبالفعل تقابل أعضاء هذا المؤتمر في أول أكتوبر سنة ١٩٥٩ في القاهرة.**

وقد ضم ثلاثة عشر عالماً وخبيراً من ثماني دول من بينهم علماء الجمهورية العربية المتحدة، ولقد ألقى كلمة الافتتاح السيد وزير الثقافة والإرشاد القومي ومن بين ما قاله:

"إذا كنا في الجمهورية العربية المتحدة نقيم مشروع السد العالي في سبيل رفاهية مواطنينا فإننا حريصون في الوقت نفسه على أن ننقذ آثار بلاد النوبة، حماية لتراث إنساني قديم، وخدمة لعناصر الحضارة الإنسانية".

وأذيع في هذه الجلسة أول تصريح لحكومة الجمهورية العربية المتحدة، يحدد مطالبها والمنح التي ستمنحها للدول التي ستساهم في حماية هذه الآثار، فقد وعدت:

١ – بمنح كل بعثة تقوم بالتنقيب في بلاد النوبة ٥٠% على الأقل من الآثار المنقولة التي تعثر عليها.

٢ – فتح مجال البحث والتنقيب للبعثات الأثرية في المناطق الموجودة بشمال الوادي.

٣ – منح بعض القطع الأثرية للدول التي تساهم بعروض كبيرة في مشروع الإنقاذ.

٤ – منح بعض معابد بلاد النوبة للدول التي تساهم بمبالغ كبيرة في مشروع الإنقاذ، وهذه المعابد هي: تافة – دابود – دندور – الليسبة – الدر.

وسافر أعضاء المؤتمر في الفترة من ٢ إلى ٩ أكتوبر عام ١٩٥٩ إلى بلاد النوبة وتفقدوا آثارها وناقشوا معضلاتها، وواصلوا اجتماعاتهم بعد ذلك بالقاهرة واختتموها بالتوصيات الآتية:

أولاً:

يجب الكشف عن جميع المناطق التي تحوي آثاراً مدفونة في باطنها، والتي تقع فوق مستوى ١٢١ متراً – أعلى مستوى تصل إليه مياه خزان أسوان حالياً – مع الاستعانة بالخرائط الفوتوجرامترية التي ستساعد ولاشك على تحديد هذه المواقع، التي لايزال بعضها مجهولاً لدينا، وأوصت اللجنة بالاهتمام بآثار العصرين القبطي والإسلامي.

ثانياً:

أوصى المؤتمر مصلحة الآثار بضرورة إرسال بعثتين لمسح بلاد النوبة كلها متراً متراً لتعيين المناطق الأثرية غير المعروفة، على أن تهتم هاتان البعثتان بالبحث عن مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث لتحديد نشاط وحضارة الإنسان الأول الذي عاش في بلاد النوبة في العصور الأولى.

ثالثاً:

يجب حماية المعابد الأثرية في أماكنها إذا كان هناك طريقة لتحقيق هذا، فإذا ما استحال الأمر وجب أن تنقل وتشيد في واحتين، أوصى المؤتمر بالعناية بأمرهما، إذ ستكون الواحة الأولى في منطقة "كلابشة" والثانية في منطقة "أبو سمبل" وتوزيع هذه المعابد عليهما.

وتعرض المؤتمر للمشروعات الكثيرة التي قدمت له لحماية معبدي "أبو سمبل"، ومن أهم هذه المشروعات:

١ – رفع المعبد والصخور المحيطة بهما إلى ما فوق التل الصخري، وقدم هذا المشروع الأستاذ الإيطالي "جازولا".

٢ – إقامة سد خرساني أمام كل معبد من المعبدين.

٣ – إقامة سد ترابي حول المعبدين.

٤ – تحويل مجرى النيل جنوب وادي حلفا وجعله يصب في المجرى الحالي شمالي "أبو سمبل" وترك المعبدين في مكانهما دون أية حماية.

ودارت مناقشة طويلة حول هذه المشروعات، وأقر الخبراء المشروع الخاص بإقامة سد ترابي حول المعبدين على بعد **٣٠٠** متر من واجهتيهما ويبلغ طوله ٧٠٠ متر، إذ إن هذا المشروع سيحافظ عليهما في مكانيهما ويحتفظ لهما بجمالهما، خاصة لأن الظاهرة الفريدة التي تميز بها المعبد الكبير من دخول أشعة الشمس المبكرة إلى قدس الأقداس به، هذه الظاهرة ستبقى ولو أن موعد دخول الأشعة سيتأخر حوالى الساعتين بعد الشروق.

أما فيما يتعلق بمعابد جزيرة "فيلة" فقد بحث المؤتمر ثلاثة مشروعات قدمت إليه بهذا الصدد وهي:

١ – بناء حائط من الخرسانة يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار حول الجزيرة نفسها.

٢ – فك المعابد، ثم رفع مستوى الجزيرة من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار وإعادة تشييد المعابد فوق الجزيرة.

٣ – بناء سد صخري ترابي يربط الطرف الشمالي لجزيرة بجة المجاورة لجزيرة فيلة مع الشاطئ الأيمن للنيل في نقطة يكون قاع النيل فيها صخرياً، ثم يمد هذا السد حتى جزيرة فيلة نفسها، وبذلك يتحول تيار النيل عن الجزيرة بمعابدها.

ويمتاز هذا المشروع الذي قدمه المهندس المصري عثمان رستم بأنه يحفظ الجزيرة بعيدة عن المياه ويرجعها إلى جمالها، خاصة أنه ستتكون حولها بحيرة صناعية على منسوب الجزيرة نفسها. هذا، غير الفوز بما يزيد على ٦٠٠ فدان يمكن زراعتها واستغلالها.

وأقر الخبراء المشروع الأخير.

لقد كان للتقرير الذي وضعه مؤتمر الخبراء السالف الذكر أثر طيب عندما عرض على المجلس التنفيذي لليونسكو في دورته الخامسة والخمسين خلال شهري نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٥٩، إذ تحمس ممثلو الدول المختلفة في هذا المجلس لفكرة الإنقاذ وعبروا عن مشاعرهم النبيلة نحو هذا المشروع وطالبوا ببذل أقصى جهد لننفذ ما جاء في التقرير المعروض عليهم، وانتهى المجلس إلى قرار جماعي أوصى فيه بتوجيه نداء دولي عالمي إلى المعاهد المعنية بالدراسات الأثرية، وإلى السلطات الرسمية والمؤسسات الكبرى والبيوت المالية، بل وللرأي العالمي عامة، وذلك لتقديم المساعدات المالية لتنفيذ هذا المشروع الضخم.

كما أوصى المجلس بتشكيل لجان قومية من الدول الأعضاء لشحذ الهمم وحث الدول للمساهمة في أعمال الإنقاذ، هذا فضلاً عن التوصية بتشكيل لجان دولية لرعاية المشروع وتحويل المدير العام لليونسكو بأن يوجه نداءً باسم

المنظمـة إلـى العـالم أجمـع لإنقـاذ آثـار بـلاد النوبـة، وخولـه كـذلك فـي تلقـي المساعدات والعروض التي تقدم من الدول والمؤسسات والهيئات والأفراد لهذا الغرض.

لقـد كانـت جلسـة المجلـس التنفيـذي مظـاهرة تمـوج بـالعواطف النبيلـة والأحاسيس الطيبة نحو التراث العالمي الذي خلفه لنا المصريون القدماء في بلاد النوبة، وحدثت بعدها عدة اتصالات لاستكمال الخطوات التي كان لابد من اتخاذها قبل توجيه النداء العالمي وتشمل هذه الخطوات:

١ – تشكيل لجنة استشارية دولية للإشراف على مشروع إنقاذ بلاد النوبة، ولقد أصدر السيد وزير الثقافة والإرشاد القومي القرار الوزاري بتشكيلها في أول فبراير سنة ١٩٦٠ على أن تتكون من اثني عشر عضواً من بينهم ثمانية أعضاء، يمثلون نخبة ممتازة من العلماء في الخارج وأربعة من علماء الجمهورية العربية المتحدة.

٢ – تشكيل لجنة الشرف التي ستتولى الحملة الدولية لإنقاذ آثار بلاد النوبة.

٣ – تشكيل لجنة العمل التي ستتولى تنفيذ نتائج الحملة الدولية التي ستتقدم بها لجنة الشرف.

وفي الثامن من شهر مارس عام ١٩٦٠، أقيم في مبنى منظمة اليونسكو بباريس حفل تاريخي شهده نخبة من أهم الشخصيات التي تعمل في المجالات الدولية، وقام المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة بتلاوة الرسالة التاريخية التي وجهها السيد الرئيس جمال عبدالناصر بمناسبة قيام السيد المدير العام لمنظمة اليونسكو بتوجيه ندائه العالمي لحض الدول على المساهمة في مشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة.

وها نحن أولاء نثبت رسالة السيد الرئيس جمال عبدالناصر: "يسرني أن أحيي منظمة اليونسكو، بمناسبة الاجتماع الذي ينعقد اليوم للنظر في توجيه النداء الدولي، بشأن إنقاذ آثار بلاد النوبة.

ولئن كانت التزامات التعمير، والعمل من أجل الرخاء الإنساني قد اقتضت تنفيذ مشروع السد العالي علي النيل، فإن هذه الالتزامات، لم تمنعنا من التفكير في إنقاذ جزء من أهم ما ورثناه من تراثنا.

وما تراثنا إلا جزء متواضع من التراث الإنساني الكبير.

والذي لا أشك فيه، أن حرصنا على التراث الإنساني، راجع إلى ما يربط الأجيال من صلات، ويشد بعضها إلى بعض بخيط خفي لا يكاد يُرى، ولكنه ينبض في أعماقنا نبضاً حياً متصلاً لا ينقطع.

وهذا هو السر فيما حققته الإنسانية من تقدم، حفظ كرامتها وكبرياءها من الجمود. والإنسانية في هذا، وحدة متكاملة، لا يستطيع بعضها أن يستغنى عن بعض ولا أن ينزوي، ولا أن ينعزل.

لهذا فقد لجأنا إلى هذه المنظمة الدولية، لتنادي دول العالم جميعاً لإنقاذ هذا الجزء من حضارة الإنسان.

وإنا لمطمئنون إلى أن ما في ضمير الإنسان من حياة، وما في وجدانه من انفعال وما في إرادته من طاقة، لو وجهت نحو الخير لتحقق هذا الخير.

وقد بدا فيما أعلنته حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن هذا المشروع، أنها تستهدف دفع الطاقات الحية، إلى مزيد من التعاون الدولي في ميدان ثقافي جليل، شاءت المصادفات أن يقع في وادي النيل.

ولعلها تصبح تجربة ناجحة، من تجارب جيل يعيش في عصر الأمم المتحدة، ويحاول أن يجعل من ميثاقها حقيقة، وعقيدة، وإيماناً يؤكد الثقة في تعاون الإنسان، ويحرص على اتصال المدنيات والحضارات، وإن تباينت البيئات، أو اختلفت العصور.

ويوم يكتب لهذا المشروع النجاح، سيكون لكم ولكل جهد بذل، ولكل عقل فكر.. سيكون لكل حكومة، أو هيئة عامة أو خاصة، أو مؤسسة، أو شخص، فضل في العمل على تأييد الثقة في إمكان قيام تعاون إنساني مثمر بين أمم الأرض جميعاً في سبيل مجتمع إنساني يعرف أهدافه، ويعرف الطريق إلى تحقيقها".

وألقى المدير العام لمنظمة اليونسكو د. "فيتورينو فيرونيز" نداءه الدولي الذي جاء فيه:

"بدأ العمل في بناء السد العالي الذي سيحول وادي النيل الأوسط إلى بحيرة واسعة خلال خمس سنوات مما يهدد بغرق أبنية عظيمة تعد من أروع المنشآت المعمارية في العالم، وسيبعث بناء السد الخصب في مساحات مترامية الأطراف من الصحراء، ولكن يبدو أن توفير حقول جديدة للزراعة ومنابع ضخمة للقوى التي ستغذي مصانع المسقبل سوف يكلفنا ثمناً باهظاً".

وليس من السهل الاختيار بين تراث الماضي ورفاهية شعب يعيش في ظل هذا التراث الذي يعد من أعظم ما خلفه التاريخ.. بين المعابد والمحاصيل.

وأنا شخصياً أشعر بالإشفاق علي أى رجل يمكنه أن يقدم على هذا الاختيار دون أن يشعر بالأسى، كما أني أشفق على إنسان يمكنه أن يتخذ قراراً بهذا الشأن ثم يتحمل تبعة قراره أياً كان دون الشعور بالأسف.

لهذا لم يكن غريباً أن تتوجه حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الجمهورية السودانية إلي منظمة اليونسكو، تطلبان محاولة إنقاذ الآثار المهددة. وتلك الآثار التي ربما تضيع في غد قريب ليست ملكاً للبلدين المؤتمنين عليها فقط، بل هي ملك للعالم كله، وللعالم الحق كل الحق في ضمان بقائها.

فهي جزء من تراث مشترك كالتراث الذي يضم رسالة "سقراط" وصور "أجنته" الحائطية وجدران "أوكسمال" بل وسيمفونيات "بيتهوفن".

ولذلك فإن هذه الكنوز ذات القيمة العالمية، يجب على العالم أجمع أن يقوم بحمايتها.

وفضلاً عن ذلك، فإن الأمر ليس مجرد إنقاذ شيء مهدد بالضياع، بل هو أيضاً اكتشاف ثروة لا تزال خفية، وإخراجها إلى النور، فهو أمر يستمتع به الجميع.

وبذلك نرى أن عهداً جديداً قد فتح للتقدم الرائع والثراء الكبير في ميدان الدراسات المصرية القديمة، وبدلاًمن أن يحرم العالم من جزء من روائعه الفنية فسوف يعود الأمل للإنسان بأن تكتشف روائع أخرى مازالت مطمورة ومجهولة حتي اليوم.

إن هذه القضية النبيلة تستحق منا استجابة لا تقل عنها حزماً ونبلاً، ومن أجل ذلك: فإني أوجه، بكل ثقة، الدعوة إلى الحكومات، والمعاهد، والمؤسسات العامة والخاصة، وإلى الرجال المخلصين في كل مكان للإسهام في إنجاح هذه المهمة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، كما أدعو إلى تقديم الخدمات.

وأخيراً.. "مصر هبة النيل"، وهي جملة إغريقية قديمة انتشرت وتعلمها عدد لا حصر له من الطلاب.

فعلى شعوب العالم أجمع أن تتحد اليوم لكن لا يطوي النيل في قاعه، بسبب المشاريع البناءة التي ترمي إلى زيادة الخصب ومنابع القوى، أن يطوي العجائب التي ورثناها نحن الأجيال الحاضرة من أجيال طوتها الدهور منذ أزمنة سحيقة".

ومنذ ذلك الحين أخذت صحف العالم ومجلاته وإذاعاته تفيض في الحديث عن آثار بلاد النوبة وأصبحت صور تلك المعابد تملأ صفحات الصحف العالية وتجذب أنظار القراء التي تفيض قلوبهم بحب التراث المصري الذي خلفه أهل وادي النيل منذ أول العصور، وتكونت اللجان القومية في كثير من بلاد العالم وذلك لحث الناس على المساهمة في إنقاذ هذا التراث.

وفي نوفمبر من عام ١٩٦٠ أصدر الرئيس جمال عبدالناصر قراراً بتشكيل اللجنة القومية للجمهورية العربية المتحدة، تحت رئاسة السيد نائب الرئيس عبداللطيف البغدادي.

# الجهود التي بذلتها
# الجمهورية العربية المتحدة

لم تقف حكومتنا مكتوفة اليدين، منذ أن نقلت معضلة إنقاذ آثار بلاد النوبة من الحيز المحلي إلى الحيز الدولي، بل قامت ببذل جهود جبارة في القيام بواجبها نحو هذا المشروع معتمدة في ذلك على إمكانياتها الفنية والمادية، ولم تنتظر حتى يأتيها العون الخارجي، إذ إن الأيام تمر مسرعة والمشروع الضخم يسير قدماً نحو التنفيذ، ولم يبق على انتهائه سوى بضع سنوات، وفيما يلي عرض موجز لهذه الجهود:

أولاً: اعتمدت مصلحة الآثار في ميزانيتها لعام ١٩٥٩–١٩٦٠ مبلغ ١٠٠ ألف جنيه لمواجهة أعمال الترميم لبعض المعابد المهددة بالتهدم وذلك قبل رفعها، وللصرف منه على إنشاء وحدات نهرية من جرارات وعائمات لازمة لانتقال البعثات العلمية المختلفة ولسكنها في مناطق بلاد النوبة.

ثانياً: اعتمدت مصلحة الآثار في ميزانيتها لعام ١٩٦٠–١٩١٦ خصماً على ميزانية السد العالي مبلغ ٢٠٠ ألف جنيه، وذلك لمواجهة أعمال نقل بعض المعابد المشيدة ولتكملة المهمات المختلفة اللازمة لمشروع إنقاذ بلاد النوبة.

ثالثاً: اعتمدت مصلحة الآثار في ميزانيتها الخاصة لعام ١٩٦٠–١٩٦١ مبلغ ٥٠ ألف جنيه للصرف منه على أعمال التنقيب وأعمال البحث العلمي الخاص بمشروع إنقاذ آثار بلاد النوبة.

رابعاً: زادت اعتمادات مركز تسجيل الآثار في ميزانية عام ١٩٥٠–١٠١٦ إلى مبلغ ٦٠ ألف جنيه للصرف منه على أعمال المركز في تسجيل معابد بلاد النوبة.

خامساً: رصدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون في ميزانية السد العالي تصرف بمعدل نصف مليون جنيه في السنوات ابتداء من ١٩٦٠–١٩٦١ إلى ١٩٦٧– ١٩٦٨ على مشروع إنقاذ معبدي "أبو سمبل".

سادساً: أرسلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مجموعة كبيرة من التحف القديمة التي تمثل أهم العصور الحضارية: فرعونية – قبطية – إسلامية، على هيئة معرض متجول أطلقت عليه اسم: "معرض الخمسين قرن لتطور الفن المصري"، ولقد عرضت هذه التحف في بلجيكا، ثم في هولندا ثم في سويسرا، فألمانيا.

سابعاً: أرسلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة مجموعة من التحف النادرة من آثار توت عنخ أمون، لتعرض في رحلة طويلة في متاحف الولايات المتحدة.

ثامناً: دعت وزارة الثقافة والإرشاد القومي مجموعة من أدباء وعلماء العالم وأعضاء السلك السياسي ورجال الإذاعة والصحافة والتليفزيون، إلى رحلة لمشاهدة آثار بلاد النوبة حتى يروا بأنفسهم هذا التراث الخالد وأهمية تنفيذ مشروع إنقاذه.

تاسعاً: اعتمدت وزارة الثقافة والإرشاد القومي مبلغ ٦ آلاف جنيه لتصوير فيلم ملون لآثار بلاد النوبة وتوزيعه على الهيئات المعنية بالأمر، ولقد تم هذا الفيلم ونجحت فكرته نجاحاً كبيراً.

عاشراً: نشرت وزارة الثقافة والإرشاد القومي كتاباً علمياً مفصلاً عن بلاد النوبة عالج فيه نخبة من العلماء تاريخ وجغرافية وآثار وفنون هذه المنطقة، وترجم هذا الكتاب إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

حادي عشر: قام مركز "تسجيل الآثار" بالتسجيل العلمي الدقيق لمعظم معابد بلاد النوبة مثل معبد تافا، معبد دابور، معبد قرطاسي، وأخذ يعمل جاهداً منذ العام الماضي على إتمام تسجيل معبد جرف حسين ومعبدي أبو سمبل.

ثاني عشر: قامت مصلحة الآثار بنقل المعابد الآتية إلى جزر إلفانتين وهي: تافا، دابود، قرطاسي.

ثالث عشر: قامت مصلحة الآثار بأعمال الحفر والتنقيب في المناطق الآتية: بلانة – قسطل – معبد عمدا – معبد دابود – معبد قرطاسي.

رابع عشر: قامت جامعة القاهرة بإرسال بعثة كبيرة للقيام بالحفر والتنقيب في منطقة عينيه "العاصمة القديمة" وأنجزت حتى الآن ثلاثة مواسم وفقت فيهما إلى العثور على آثار منقولة عديدة كما وفقت إلى نتائج تاريخية هامة.

خامس عشر: وافقت حكومة الجمهورية العربية المتحدة على إعفاء المبالغ التي تقدمها الهيئات المختلفة من الضرائب، كما وافقت على إعفاء المرتبات والمكافآت التي يحصل عليها الفنيون من مبالغ تبرعت بها بعض الهيئات الخارجية، من ضريبة الدخل والضرائب العادية.

سادس عشر: أصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة طابعي بريد تذكاريين أولهما صدر في عام ١٩٥٩ بصورة لمعبد "أبوسمبل" الكبير، والثاني في نوفمبر ١٩٦٠ بصورة لمعبد "أبو سمبل" الصغير، وظهر أخيراً عام ١٩٦١ طابع جديد لمعابد فيلة.



# الجهود التي بذلتها حتى الآن

## الجهات الأجنبية

منذ أن وجه المدير العام لمنظمة اليونسكو د. "فيتورينو فيرونيز" نداءه إلي العالم، سارعت كثير من الهيئات العلمية والفنية عارضة معونتها للمشاركة في الأعمال المختلفة التي يحتاج إليها مشروع الإنقاذ.

ولقد شهدت بلاد النوبة السفلي في صيف ١٩٦٠ وشتاء ١٩٦٠–١٩٦١ عدداً كبيراً من البعثات العلمية قام بعضها بأعمال الحفر والبعض الآخر بأعمال التسجيل.

وفي صيف ١٩٦٠ قامت بعثة المعهد الجغرافي القومي بباريس بتسجيل المنطقة الواقعة بين "فيلة" و"وادي السبوع"، كما قامت بعثة من علماء فرنسيين وعرب بنقل النقوش اليونانية واللاتينية في معابد جزيرة "فيلة" وفي منطقة "قرطاسي".

وفي شتاء ١٩٦٠–١٩٦١ اشتركت البعثات الأجنبية الآتية في أعمال الحفر والتسجيل:

١ – بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو.

٢ – بعثة جامعتي بنسلفانيا وييل.

٣ – بعثة المعهد السويسري للآثار بالقاهرة.

٤ – بعثة جامعة ميلانو.

٥ – بعثة جامعة مدريد.

٦ – بعثة المعهد الألماني للآثار بالقاهرة.

٧ – بعثة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة.

٨ – بعثة جامعة ستراسبورج.

٩ – بعثة جامعة فيينا.

١٠ –بعثة جمعية الآثار بلندن.

هذه كلها بعثات تقوم ببذل العون كاملاً في أعمال الحفر والتسجيل، وتقوم الجهات المرسلة لهم بالصرف عليها من مبالغ تعتمد لهذا الغرض، ولكن هناك عروضاً أخرى للمساهمة في عملية نقل المعابد. والدولة الوحيدة التي أنجزت عرضها السخي هي جمهورية ألمانيا الفيدرالية "ألمانيا الغربية" إذ اعتمدت حكومتها مبلغ ثلاثة ملايين ونصف المليون من الماركات الألمانية وذلك لنقل معبد كلابشة وإعادة بنائه في مكان مرتفع لا تصل إليه مياه السد العالي، ولقد بدأت البعثة الخاصة بهذه العملية الضخمة عملها في صيف عام ١٩٦١.

وهناك ثلاثة عروض لم يتم حتى الآن الارتباط بها رسمياً وهي:

أولاً: العرض الذي تقدمت به حكومة الولايات المتحدة لإنقاذ معابد جزيرة "فيلة" ببناء السد الذي سبق لنا شرحه آنفا والذي سيتكلف ٦ ملايين من الدولارات.

**ثانياً: العرض الذي تقدمت به حكومة فرنسا بفك أحجار معبد عمدا ونقله إلى مكان آخر يعلو منسوب مياه السد العالي "١٨٠ متراً فوق سطح البحر" وإعادة بنائه ثانية.**

**ثالثاً: العرض الذي تقدمت به حكومة الاتحاد السوفيتي بفك أحجار معبد الدكة ونقله إلى مكان آخر يعلو منسوب مياه السد العالي وإعادة بنائه ثانية.**

**وواضح مما سبق ذكره أن أعمال الإنقاذ تسير قدماً منذ عام ١٩٦٠ وإننا لنشعر براحة نفس كبيرة نحو أعمال الحفر والتنقيب والتسجيل العلمي، إذ إن اللجنة الاستشارية الدولية قد قسمت هذه الأعمال بين البعثات المختلفة، ولم تترك متراً واحداً من المنطقة بأكملها دون أن تعهد به إلى إحدى البعثات لتقوم بالحفر فيه وتسجيل كل النقوش الأثرية المنقوشة فوق الصخر أو فوق جدران المعبد إذا كان هناك معبد أو نقوش.**

**ولكن هناك مشكلة كبرى، ألا وهي مشكلة إنقاذ المعابد المنقورة في الصخر، وكذلك المقاصير والهياكل الصغيرة المنقورة في منطقة الليسيه وقصر إبريم وعنيبة.**

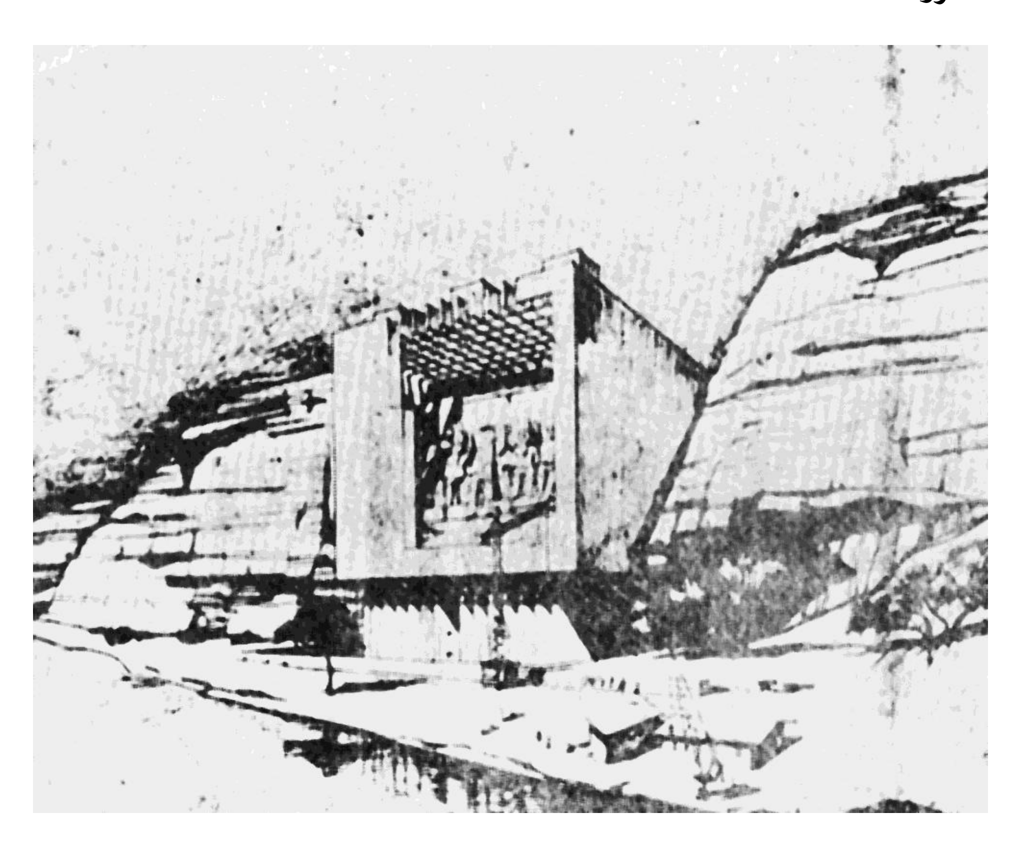
**وهنا أكثر من اقتراح في هذا الشأن:**

**الأول وهو الذي تقدم به المسيو جازولا المهندس الإيطالي ويتلخص في فصل الجدران المنقوشة عن التل الحجري ونقلها إلى مكان آخر وإعادة بنائها.**

**والاقتراح الثاني: وهو الاكتفاء بعمل نماذج جصية لهذه الجدران المنقوشة وإعادة بنائها أو حفظها في متحف كبير.**

ولقد قامت مناقشات طويلة حول عملية نشر الجدران المنقوشة، وهل في الاستطاعة تنفيذها نظراً لأن طبيعة الحجر الرملي النوبي تجعله هشاً سريع التفتت؟ لكن المهندس الإيطالي يصر من ناحيته على نجاح فكرته، ويؤكد أنه في الاستطاعة استعمال مناشير دقيقة تقطع الحجر دون إحداث ذبذبات قوية تؤثر علي تهشمه وتفتته.

ولقد أعدت العدة لإجراء تجربة في مقبرة "نبنوت" بعنيبة لإثبات صحة مشروعه.



صور توضح كيف سيرفع المعبد الكبير ويرى القارئ الدعامات الخرسانية وفى القنواتبين صفوف هذه الدعامات توضح الروافع الميكانيكية

# مشروع إنقاذ معبدي "أبو سمبل"

**ليس من شك في أن معضلة إنقاذ معبدي "أبو سمبل" المنقورين في التل الحجري، تعتبر أكثر معضلات إنقاذ آثار بلاد النوبة تعقيداً، فهذان المعبدان هما أجمل وأروع معابد النوبة، وليس من السهل علينا، بل وعلى العالم المتحضر أن يدع هذا الأثر يضيع، فهما لا يخصان من شيدهما فقط، بل يخصان التراث الثقافي للإنسانية جمعاء، فعلى مجتمعنا الحاضر أن يحفظ هذا الأثر لأنه رمز خالد لحضارة عظيمة، ولذلك يجب علينا ألا نتردد في اتخاذ أي إجراء مهما كان استثنائيا.**

**وقد سبق لنا أن قلنا إن أكثر من مشروع قد قدم لإنقاذ هذين المعبدين، وأن مؤتمر الخبراء الذي عقد في أكتوبر عام ١٩٥٩ فضَّل مشروع إقامة سد نصف دائري حول المعبدين، ولكن المسيو جازولا تمكن من أن يتقدم بعد ذلك بتفصيلات لمشروعه، جعلت اللجنة الاستشارية الدولية لإنقاذ بلاد النوبة تعيد النظر فيه.**

**وفي الاجتماع الذي عقدته اللجنة الاستشارية الدولية في شهر يناير عام ١٩٦١ بالقاهرة طرح للمناقشة: أي المشروعين أفضل؟ خاصة أن الأعضاء كانوا قد تسلموا تقريرين مفصلين عن المشروعين، الأول تقدمت به شركة من أهم شركات السدود في العالم وهي شركة "سكوين وبلييه" ويهدف مشروعها كما قلنا إلي بناء سد ترابي نصف دائري يحيط بواجهتي المعبدين بحيث تترك مسافة**

لا تقل عن ثلاثمائة متر بين الجدار الواقي وبين واجهة المعبد الكبير حتي لا يقف ارتفاع الجدار مانعاً وصول أشعة الشمس عند شروقها، إلى قدس الأقداس، وهذه تعتبر من أهم المميزات التي اشتهر بها هذا المعبد.

أما المشروع الثاني فهو يهدف إلى رفع المعبد إلى ما فوق مستوى مياه السد العالي، أي إلى ١٨٠ متراً فوق سطح البحر، ثم إرسائه على سطح التل الصخري وإحاطته بكل العناصر الطبيعية التي تحيط به الآن، وتقدم بهذا المشروع المسيو جازولا، أستاذ العمارة في كلية الهندسة بجامعة ميلانو مشتركاً مع شركة هندسية عالمية هي شركة "إيتالكونسولت".

ولما كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تشعر بجسامة مشروع إنقاذ معبدي "أبو سمبل" وبأن الواجب يقتضي استشارة فنية على مستوى عال في أي المشروعين يفضل الآخر، فقد اتفقت مع منظمة اليونسكو على استدعاء لجنة من خبراء عالميين متخصصين في الهندسة والجيولوجيا، واجتمعت هذه اللجنة في القاهرة، ثم قامت بزيارة "أبو سمبل" لدراسة المشروعين دراسة مستفيضة ورجعت وقدمت تقريرها إلى اللجنة الاستشارية الدولية.

وهكذا تجمعت أمام اللجنة الاستشارية ثلاثة تقارير، أحدها، وهو تقرير اللجنة الفنية السالفة الذكر، وأوضح فيه الخبراء بالتفصيل مشروع الرفع ورفض مشروع السد، وبعد مناقشات طويلة واستفسارات شتى، أجمعت اللجنة الاستشارية على الموافقة على مشروع الرفع مع طلب استكمال بعض النواحي الفنية فيه قبل إقراره.

وفي مارس ١٩٦١ عهدت الجمهورية العربية المتحدة إلى لجنة ثلاثية تشكلت من خبراء من النرويج والسويد متخصصين في شئون الرفع الهيدروليكي وأعمال الإنشاء، وكيمياء الصخور، بدراسة النواحي الفنية التي طلبت اللجنة الاستشارية استيضاحها، ووضع الخبراء الثلاثة تقريراً مسهبا تقدموا به في ١٠ يونيه ١٩٦١، ووضحوا فيه كل النقاط الغامضة.

وفي ٢٠ يونيه ١٩٦١ صدر تصريح السيد الرئيس جمال عبدالناصر الذي جاء فيه:

"لقد عهدت الجمهورية العربية المتحدة إلى اللجان الفنية بدراسة أكفل السبل لضمان سلامة المعبدين، وتضافرت جهود منظمة اليونسكو مع جهود الجمهورية العربية المتحدة في هذا السبيل، وجاءت نتائج دراسة اللجان الفنية تؤيد مشروع الرفع، وتقرر أن تنفيذه يبعث على الاطمئنان إلى سلامة المعبدين، ولهذا قررت الجمهورية العربية المتحدة الأخذ بمشروع الرفع حتى تكفل المحافظة على المعبدين على أكمل وجه ترجوه ويتطلع إليه العالم".

والأسباب التي دفعت لجنة الخبراء إلى رفض مشروع السد تتلخص فيما يلي:

أ- ترى لجنة الخبراء أن هناك عدداً كبيراً من السدود قد شيد في كثير من أنحاء العالم، إلا أنه لم يسبق أن أنشئ سد اضطر مصمموه أن يخضعوا لظروف بيئة بعينها، كما هي الحال في هذا السد، خاصة أن طبيعة الصخور التي سيقام عليه هذا السد أمام المعبدين، لن تكون في صالح المشروع للأسباب الآتية:

١ – نتيجة لبناء السد سوف يتحول مجري النهر إلى الشرق، الأمر الذي سيتسبب عنه تآكل أسفل السد مما سيلزم بناء جسر أو أكثر لتجنب هذا التآكل.

٢ – سيبني السد فوق طبقة من طمي النيل يبلغ سمكها حوالي ٣٥ متراً بها طبقات من الرمل والحصى تزيد من قابليته لترشيح الماء، ولذلك يصبح لازما تقوية هذه الطبقات الطميية بحوائط خاصة وهي عملية تكشفها صعوبات فنية كثيرة.

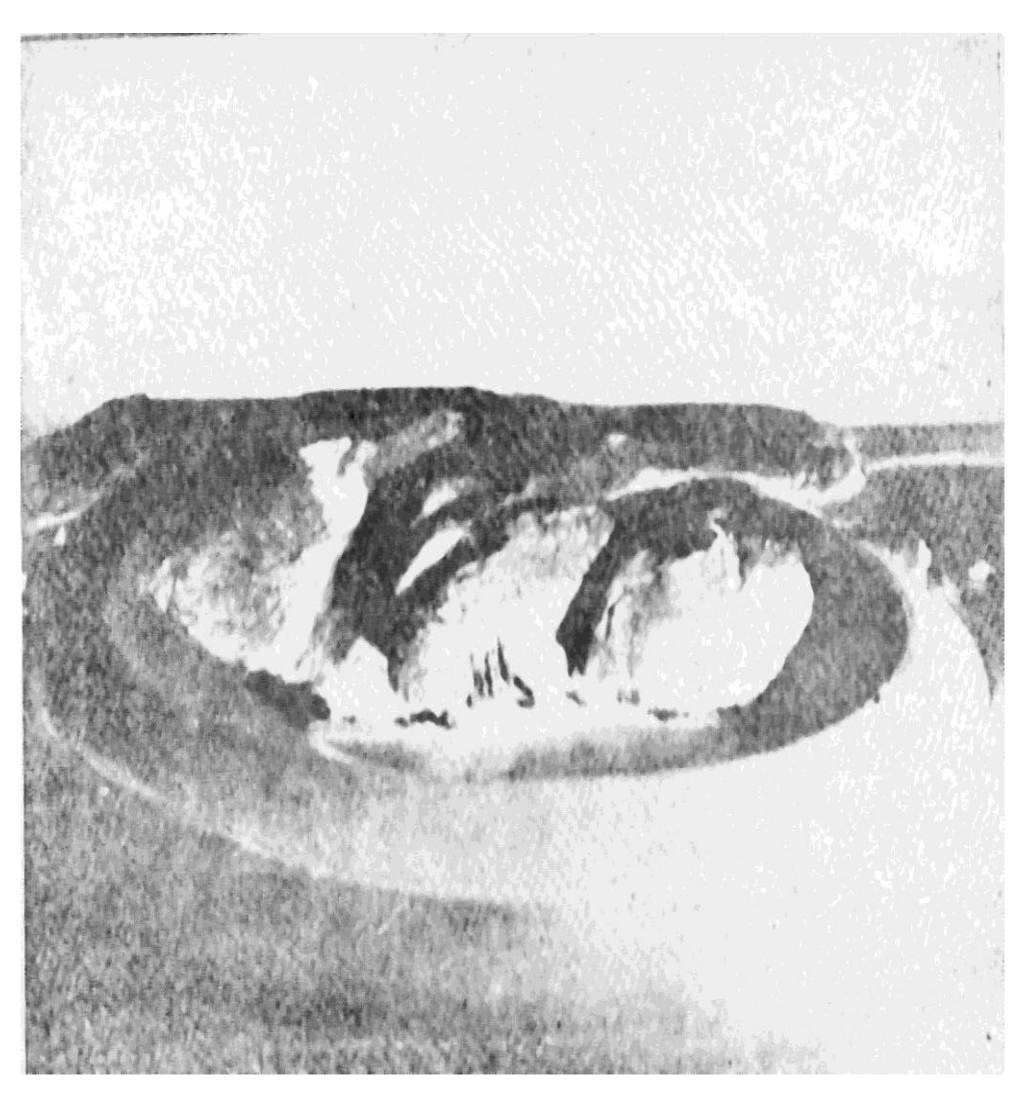
٣ – الصخور التي ستستعمل لبناء السد صخور رملية تختلف صلابتها واتساع مسامها وبالتالي تختلف قوة تماسكها ولذلك ستتطلب عملية البناء مجهودات ضخمة لتقليل عملية الرشح.

ب – نظراً لأن المعبدين سيكونان في منخفض تحيط به المياه من جوانبه الأربعة، على ارتفاع ضخم فسوف تتكون به وفي أعماقه كميات كبيرة من الرطوبة، لاشك تحتاج إلى إحاطة كل من المعبدين بممرات واسعة للتهوية، وذلك للتخلص من بعض هذه الرطوبة، ومع ذلك فسوف يتأثر المعبد خاصة الرسوم والنقوش، وسوف يحتاج إلى عملية ترميم واسعة النطاق مرة كل خمسة عشر عاماً.

ج– بالرغم من الاحتياطات التي اتخذتها الشركة ضد تسرب مياه الرشح، فسوف تتسرب كميات من الماء سواء من السد أم من الصخر حول المعبد، الأمر الذي استلزم تصميم محطتين كبيرتين لضخ مياه الرشح تعمل إحداهما ليل نهار.

د– إذا حدث لسبب طارئ خارج عن إرادة الأمة وتعطلت هاتان المحطتان فإن المعبد يمتلئ بالمياه ويغرق تماماً في ظرف أسبوعين.

هـ – ومع أن تكاليف هذا المشروع باهظة جداً، فسوف تتعدى ٨٠ مليون دولارا، فهناك مبلغ كبير تتكلفه الحكومة وهو ١٥٠ ألف جنيه يصرف سنوياً على صيانة السد وتشغيل محطتي الضخ.



صور توضح السد المقترح فى مشروع كوين وبلبيه ويلاحظ ضخامة السد بالنسبة إلى المعبدين

ولست أشك في أن مشروع الرفع يبدو للكثيرين خيالياً إلى درجة دفعت البعض إلى تفضيل مشروع السد، نظراً لأنه من المشروعات التي يمكن تنفيذها بل ونفذت كثيراً من قبل، ولو أن تنفيذها لم يكن لحماية أحد المعابد الأثرية. وفيما يلي أعطى القارئ بعض التفاصيل الخاصة بمشروع رفع المعبدين:

١- تزال الكتل الضخمة من الصخر التي تعلو المعبدين وذلك للتخفيف من الثقل ثم يعاد بناؤها مرة أخرى بعد الرفع.

٢- يفصل كل من المعبدين من التل الصخري بوساطة مناشير كهربائية خاصة تمتاز بأنها لا تسبب ذبذبة تؤثر على جدران المعبد وعلى نقوشه.

٣- يحاط المعبد، بل يوضع في صندوق.. جوانبه من الخرسانة المسلحة يجب أن تكون شديدة الصلابة حتى تتحمل الضغوط العالية.

٤- تفصل أرضية المعبد من التل الصخري وذلك على أساس البدء بعمل ممرات واسعة بأسفله توضع فيها قوائم من الخرسانة المسلحة وبعد التأكد من أن القوائم الخرسانية كافية لحمل المعبد والصندوق الذي يغلفه، تبدأ عمليات نزع الأجزاء الباقية ليتم فصل أرضية المعبد تماماً من التل الصخري.

٥- توضع روافع ميكانيكية ضخمة أسفل المعبد وفي الممرات التي تتخلل القوائم الخرسانية، على أن يتم تحريك هذه الروافع "هيدروليكية"، وتتصل كل

رافعة بلوحة اتصال إلكترونية بحيث يخصص لكل منها مصباح صغير يضيء إذا كانت حركة الرافعة عادية ويبقى منطفئاً إذا تعطلت.

٦- تتحرك هذه الروافع إلي أعلي دفعة واحدة بحيث يبلغ ارتفاع كل دفعة مقدار مليمترين، وتستمر الدفعات إلي أعلي لتصل إلي ٣٠ سنتمتراً وهو أقصي امتداد الروافع إلى أعلي، وهو الامتداد الذي نصل إلى أقصاه بعد ١٥٠ دفعة، على أن تتخلل كل دفعة وأخرى ساعتان.

٧- يتلو ذلك نزع القوائم الخرسانية التي كانت تحمل المعبد قبل وضع الروافع الميكانيكية وإحلال طبقة من الخرسان المسلحة بدلاً منها، توضع فوقها إذا ما جفت مجموعات أخرى من الروافع في صفوف متوازية، وتبدأ عملية الرفع على النحو السالف الذكر، وهكذا إلى أن يصل ارتفاع المعبدين إلى ١٨٠ مترا فوق سطح البحر، أي إلى أن يرتفع المعبد بمقدار ستين متراً فوق مستواه الحالي.

٨- يعقب ذلك زحزحة كل من المعبدين إلى سطح التل الذي يكون قد عبد وأعد لإقامة المعبدين عليه.

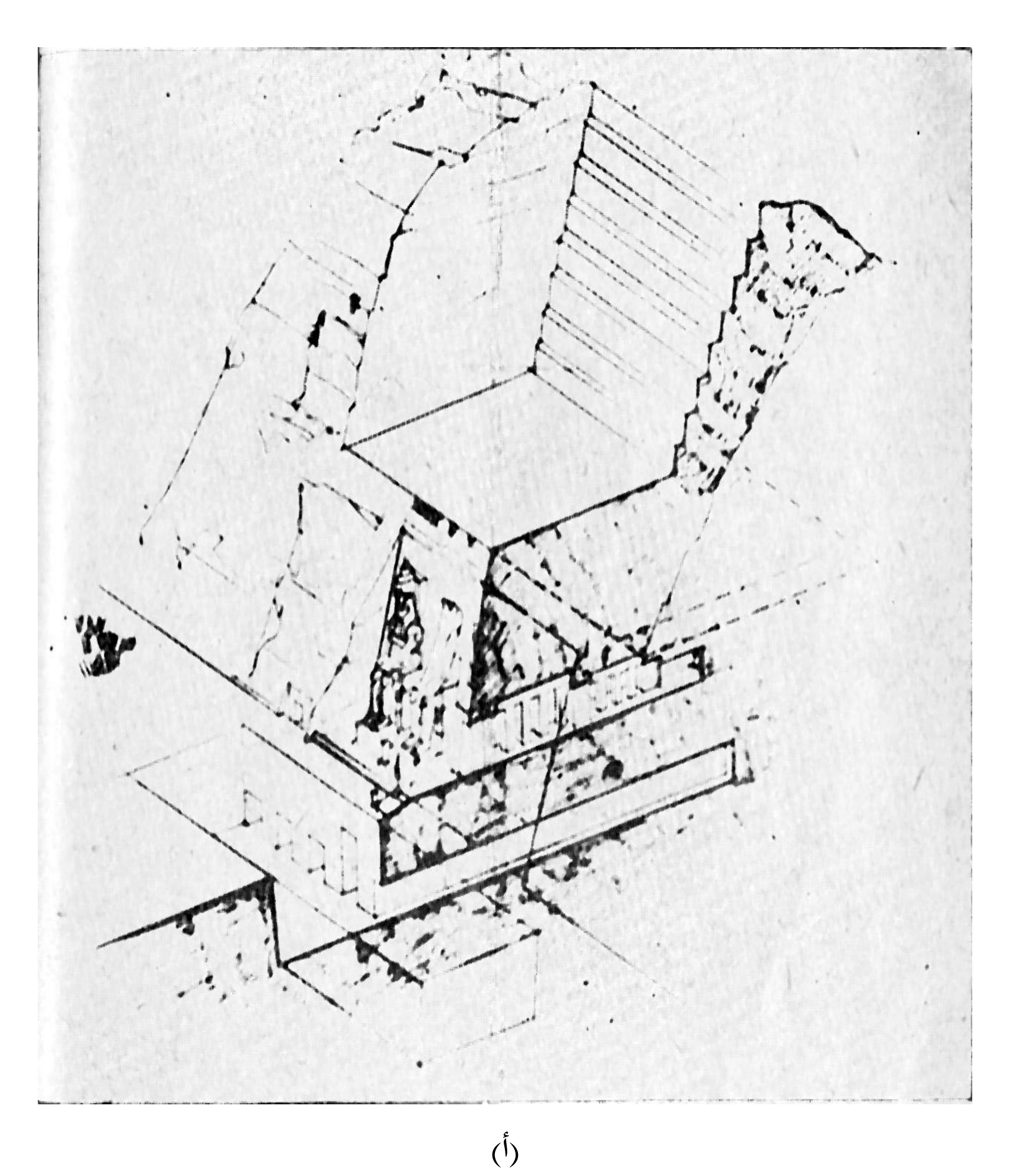
٩- يعاد تشييد قمة التل الصخري التي انتزعت في أول الأمر: يعاد تشييدها فوق المعبدين لإعادتهما إلى نفس البيئة التي كانت تهيمن عليهما من قبل.

١٠- يتكلف هذا المشروع ما يقرب من ٦٠ مليون دولارا، ولا يحتاج بعد تنفيذه إلي أية تكاليف للصيانة على الإطلاق. هذه ولاشك أضخم عملية رفع ستتم في جيلنا الحاضر، هذا إلى أن المعبد الكبير بمفرده يزن ٢٥٠ ألف طنا، وأن الصندوق الضخم من الخرسانة الذي سيغلفه يزن ١٠٠ ألف طن، ومن الصعب علينا أن نتخيل رفع مبنى يزن ٣٥٠ ألف طن إلى ارتفاع ٦٠ متراً، في

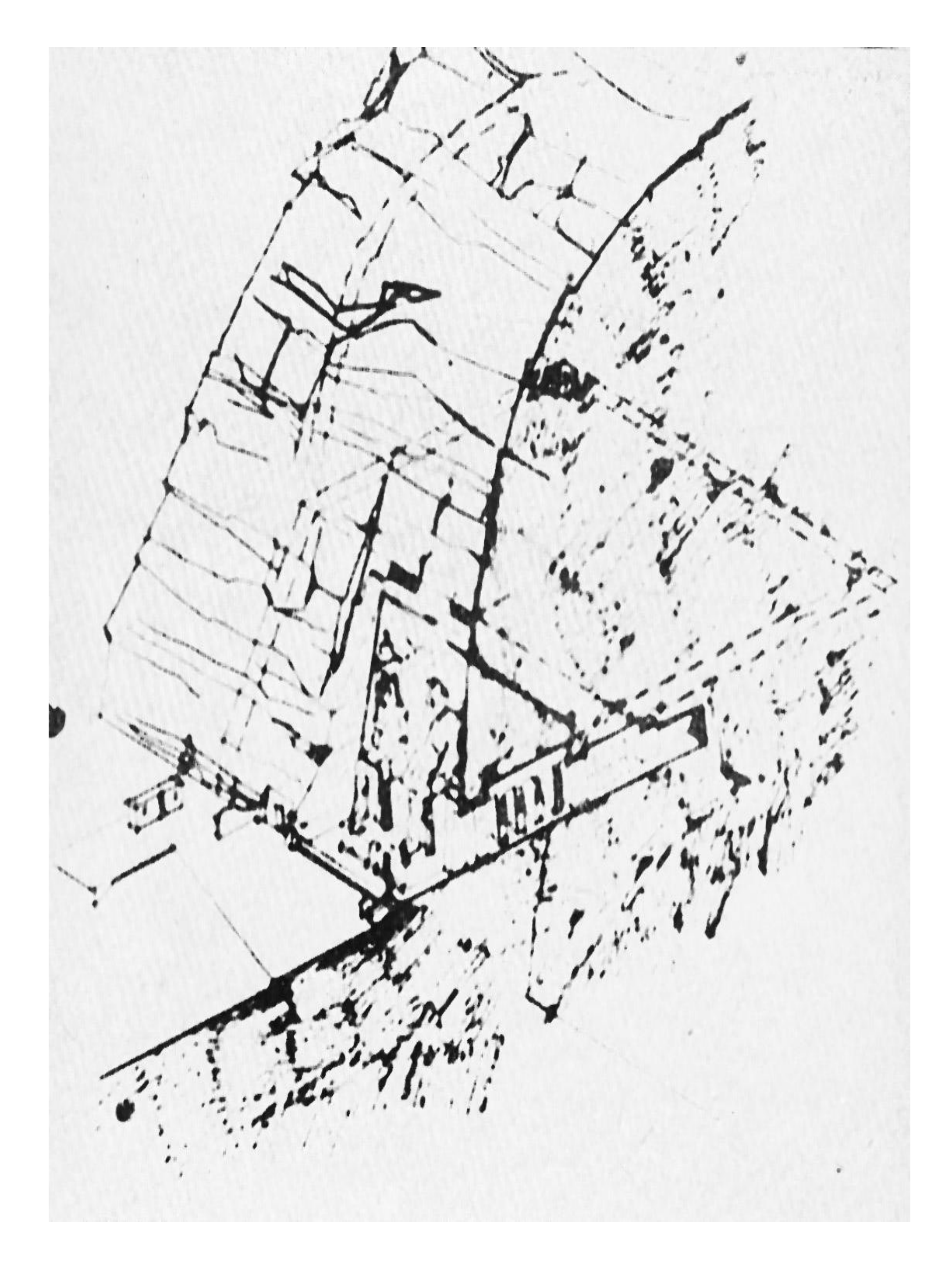
**حين أن العملية الوحيدة المشابهة لهذه العملية كانت رفع جزء من كنيسة يزن ١٠ آلاف طن إلى ارتفاع لا يزيد على المتر.**

**ويجب علينا أن ننوه هنا بأن كل اللجان التي فحصت المشروع الإيطالي حرصت كل الحرص على التأكد من صلاحيته، ومن أن الضمانات التي ستتخذ من الشركات المنفذة كافية تماماً للمحافظة على سلامة المعبدين.**

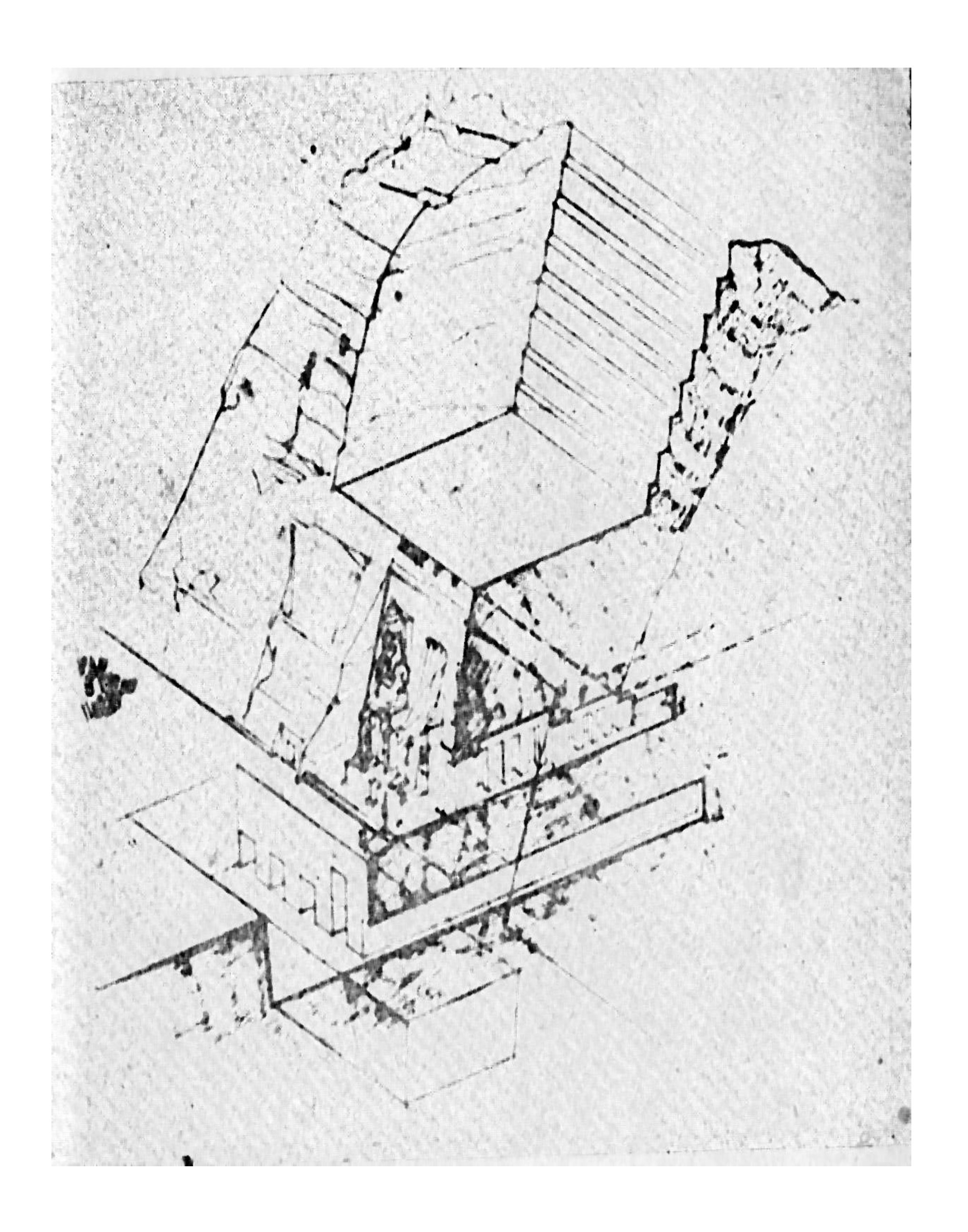
(أ، ب، ح، د، هـ) مجموعة من الصور توضح المراحل المختلفة لرفع المعبد الكبير بأبى سمبل



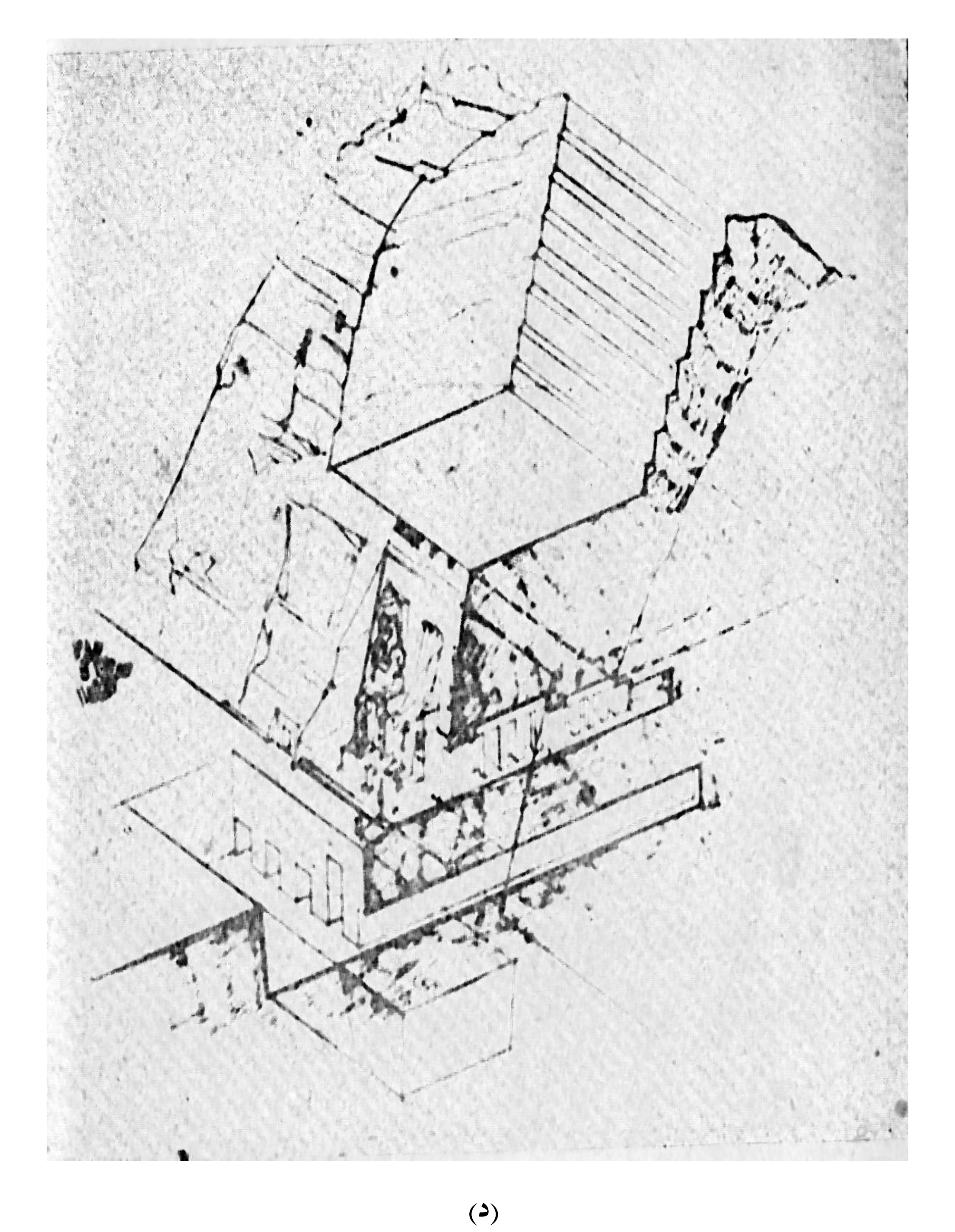
(أ)



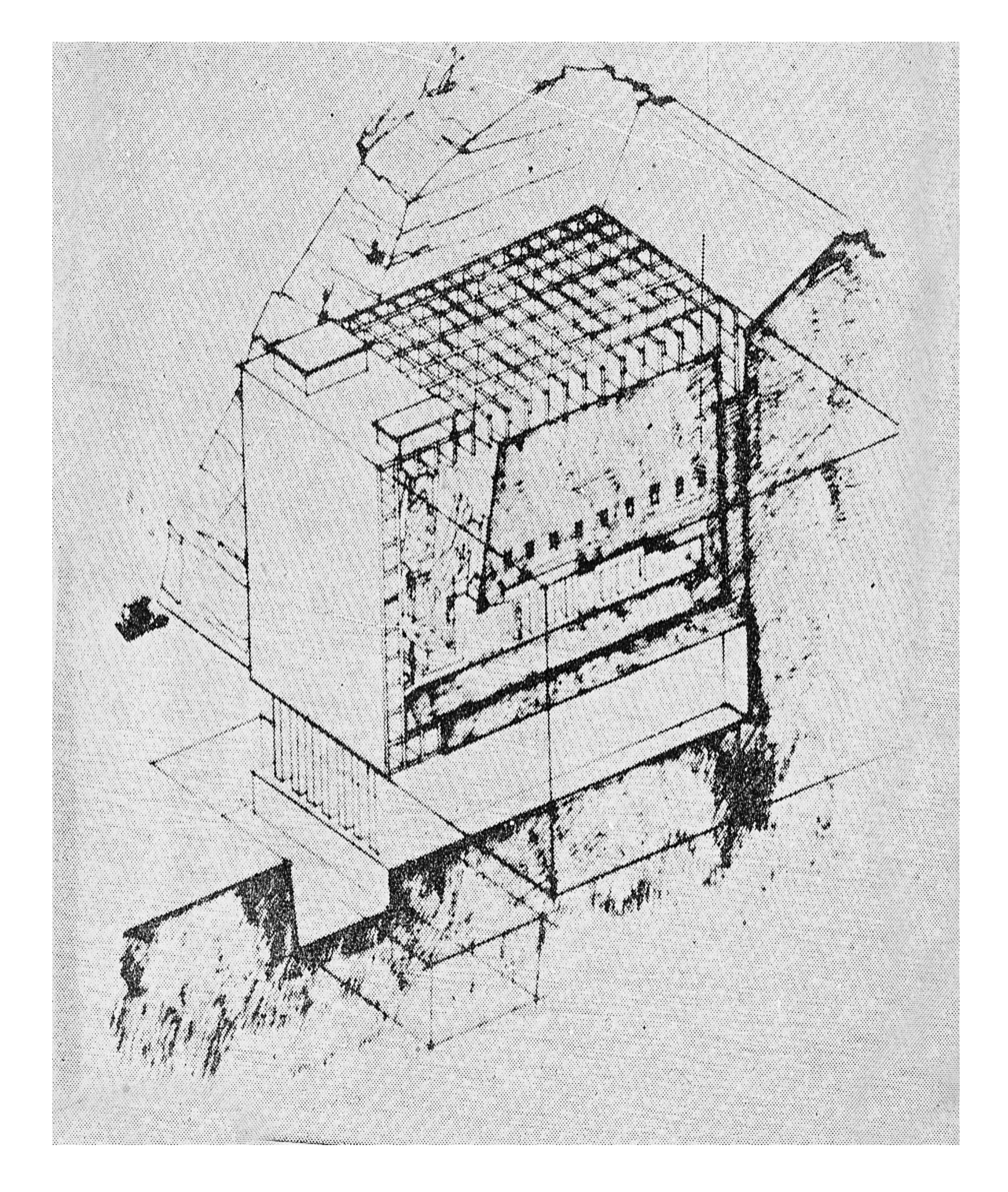
(ب)



(ح)



(٥)



(هـ)

# الفهرس